



الأسبوع

www.awu-awu.sy

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

العدد «1320» 2012 / 11 / 24 م - 11 محرم 1433 هـ
السنة السادسة والعشرون

٢٤ صفحة - السعر: ١٥ ل.س

الأدب



اللوحة للفنان التشكيلي محمد يحيى سريو

كأنّي

لم أكن

موقد

النوى

ضفاف

الروح

الوجه

الذي..

لا يغيّب

قصيدة

الشباب..

إشكالية

الحدّات،

وأسألتها

المعارك الثقافية:

من فضاء التسامح

إلى نفي الآخر

دمشق ورموزها

في شعر الشاعر

خليل مردم بك

هل هناك فرق بين الإساءة إلى الرسول وتهميد الأقصى؟

● مأمون شحادة

بعيداً عن ادبيات مظفر النواب حينما قال: «القدس عروس عربوتكم»، نقف أمام هبة نصره سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم التي اندلعت أحداثها رفضاً للفيلم الأميركي المسيء للإسلام والمسلمين، لنقول، إلا تستحق أولى القبليين وثالث الحرمين الشريفين هبة مماثلة للذود عن مدينة تتعرض لهجمة اسرائيلية تهويدية؟!.

امام تلك الهبة الجماهيرية، نطرح سؤالاً يراودنا دائماً؛ بل يسكن في وجدان قبلتنا الأولى: هل هناك فرقاً بين تهويد القدس والمسجد الأقصى وبين الفيلم المسيء لرسولنا الأعظم صلوات الله وسلامه عليه؟.

من يقول ان هناك فرق بين الحالتين، فمن المؤكد أنه كمن يقرأ الآية الكريمة: لا تقربوا الصلاة" ناسياً الجزء الآخر، لأدلجة النسيان كـ"تبرير" أمام العجز العربي.

قال هيتير لويس: " ان بناء قبة الصخرة في القدس هي أجمل المباني التي خلدها التاريخ"، وقال غوستاف لوبون: "إن بناء قبة الصخرة أعظم بناء يستوقف الناظر، وإن جمالها وروعته لا يصلان إلى خيال بني البشر"، وقال ماكس فان باشم: "لعل عظمة قبة الصخرة وجمالها يعودان لما نشاهده في مخططها من البساطة والتنسيق، حقاً إنها مفخرة العمارة الإسلامية".

مقولات تستدعي التوقف عندها، لكي يكتب عنا التاريخ كمثل ما كُتب عن مدينة القدس، ولكن! ما فائدة قراءة تلك العبارات، والقدس بعيدة عن صلوات وجولاتها أمة الضاد.

وكذلك ما فائدة التمسك بقرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة وحقوق الانسان وغيرها في ظل التهويد المستمر الذي تتعرض له مدينة القدس والأقصى؟! ولعل القارئ لهذه القرارات يعجز عن الضحك والبكاء مفضلاً الصمت وهو يردد قصيدة شاعرنا النواب: "الحنن جميل جدا..والليل عديم الطعم من دون هموم..والناس خريف يمطر.. والأيام على الذل سموم".

ثمة أسئلة موجهة للخطاب العربي، ماذا سيكتب التاريخ عن عربوتنا- نحن العرب- وخبر تهويد القدس أصبح ثقيلاً على مسامعنا؟ وهل نجرؤ على قراءة ما سيكتبه التاريخ المعاصر مستقبلاً؟ أم أننا سنتلاعب في الحاضر لنكتب إيماءات تتماهى فيها الأجيال القادمة؟

الإبحار في المعرفة

● طالب عمران

الذكاء الإنساني، هو ذكاء متفرد في كوكبنا الذي نعيش فيه، ومهما بحثنا عن بذور ذكاء في كائنات حية أخرى تعيش على اليابسة أو في المحيطات، لن نستطيع - كما نعلم - أن نقارنها بالذكاء الإنساني .

والإنسان بطبعه، فضولي يحب البحث والاستطلاع وكشف الجوانب الخفية من حوله.. إنه كتلة من المشاعر المتناسقة المتناقضة أحياناً أخرى.

وهذه المشاعر تؤثر عليه وعلى قراراته ومحاولاته التعبير عن رغبة الكشف والإبحار فيها.. أن يتأمل ويستطلع ويبحر في الحلم ، وأحلامه المرتبطة بالاكشافات تقدم له المزيد من الإبداعات والابتكارات.

ترهفه الأسئلة التي يبحث عن أجوبتها بلهفة وشغف، وقد يفشل في التقاط العديد من الأجوبة المنطقية عن تلك الأسئلة..

من هو؟ كيف أتى؟ ومن أين؟ وإلى أين تسير حياته؟ ماهي توقعاته عن أيامه المقبلة؟ ماذا عن مستقبله الغامض؟

ماذا عن الموت؟ كيف يموت الكائن الحي؟ ماذا عن تفسخ الكائنات الحية وفنائها؟ ماذا بعد الموت؟ هل الحياة محطة من محطات كثيرة مجهولة؟

ثوان قليلة تظهر فيها دقائق الذرة وتختفي، فيروسات لا تعيش سوى لأوقات قصيرة، فيروسات تستوطن وتظل فيه حتى بعد موتها..

جراثيم مختلفة الأعمار والأشكال والنشاطات تهاجم الكائن الحي وقد تفتتسه وتقتله، أو يقضي عليها بالمناعة الطبيعية أو بالدواء..

حيوانات تعيش وتموت في دورات حياة منتظمة متغيرة أحياناً من شكل إلى آخر- كما في حالة الفراشات ..

نبات بدائي، نبات متطور، رخويات، لافقاريات، كائنات فقارية بيوضة، ثم ولودة.. كلها تعيش بدورات حياة خاصة.. مختلفة، غريبة أحياناً..

كوكب الأرض هو كوكب الحياة التي نعرفها، حياة عضوية، تعتمد على عناصر معدنية.. ولكن هل هذا هو عنوان الحياة في كواكب أخرى؟

هل العضوية صفة شاملة للكائنات الحية في الكون.. ماهي أدلتنا على ذلك؟ وهل نستطيع أن نعمم هذه الأدلة؟

هل الذكاء الإنساني هو المثل الأعلى للذكاء العاقل في الكون؟ لقد تطوّر الإنسان باستخدامه لذكائه، وشهدت مسيرته حضارات متعاقبة.. ومازال تطوره العقلي مستمراً، رغم أنه استخدمه أحياناً في الدمار والقتل.

وابتكر الإنسان إلى جانب آلات رفاهه وتقدمه آلات دمار وتخريب، وقضى بجبروته أحياناً على ملايين ملايين الضحايا من بني جنسه.

في كوكبه تزداد الحياة صعوبة، نظراً لاستهتاره بإقامة صناعات تعتمد مبدأ الجشع، وفي المقابل تخرب استقرار الجو الذي يحتضنه مع بني جنسه، ومع الكائنات الأخرى النباتية والحيوانية التي تشاركه الحياة على كوكبه..

أهناك حضارات عاقلة على كواكب أخرى، تبتكر مثل أنظمة الدمار هذه؟ كيف السبيل إلى البحث عنها؟ وكيف سنتلمس وجودها الفعلي؟

لاشك في أن عدد الحضارات العاقلة في مجرتنا(درب الألبان) أو (درب التبان) يعتمد على الكثير من العوامل التي تتراوح بين عدد الكواكب التابعة لكل نجم واحتمال نشوء الحياة على هذه الكواكب.

إن الحياة ما إن تبدأ في كوكب وتتطور في بيئة ملائمة خلال مليارات السنين، حتى يمكننا أن

نتوقع ظهور كائنات ذكية بينها..

قد يكون تتابع الأحداث التي جرت على الأرض شبيهاً بالأحداث التي تجري على كواكب متطورة في مجرتنا ..

حتى إنه يمكننا أن نتوقع وجود براكين وزلازل ونشاطات مختلفة من داخل الكوكب للسطح، تغيير من طبيعة قشرته وتهلك بعض كائناته، كما حدث للديناصورات على كوكبنا..

قد يكون السجل النهائي لذلك الكوكب الحي في مجرتنا شبيهاً بالسجل النهائي لكوكبنا من جبال رسوبية، أو بركانية، إلى سهول خضراء وأنهار وينابيع وصحار جليدية، أو جافة..

العضوية قد تعيد سجل التطور نفسه بتفاصيل مقارنة..

هل هذا يعني أن كائناً عاقلاً شبيهاً بالإنسان قد يظهر فوق سطح ذلك الكوكب الحي ، بكل مشاعره المتناقضة، ونزغته الخيرة، أو أنانيته وجنونها المدمر أحياناً أخرى؟

(مراكز متفوقة في الدماغ)

لكل كائن في العالم الذي نعرفه طريقته في التأقلم مع البيئة التي يعيش فيها، وطريقته في التعامل مع الموجودات في هذه البيئة، ومع الحركة والسعي نحو الغذاء والأمان..

الإنسان يسعى نحو رزقه وتأمين معيشته وحياته الآمنة، ويسعى للكشف والتعرف على ماحوله والدخول في مجالات الابتكار والتحديد، واختراع وسائل تريحه وترفئه..

ومسيرة الإنسان عبر التاريخ تظهر مدى التطور الذي وصل إليه عبر استخدام عقله النير، في سبيل الأمان والتأقلم مع ظروفه المتغيرة أحياناً..

ورغم أن التطور العلمي أعطى للإنسان إمكانيات هائلة نتيجة الاستناد إلى المنهج المنطقي والرياضي في التفكير، ولكن ليس كل مايدور في العقل في كل وقت يمكن التعامل معه بهذا المنهج..

اللون الرمادي هو لون مميز، ولكنه يشكل خليطاً من لونين هما الأبيض والأسود، وهما لوان متباينان تماماً..

وحين نصنف الرمادي نجد صعوبة في وضعه بين الألوان كلون مستقل، رغم أن العقل يفضل التعريفات الثابتة لطريقة تشكل هذا اللون كمزيج من لونين متباينين..

إن الهلوسة التي تعترى الإنسان، إثر إصابته بحمى أو تناوله المخدر، قد تنقله إلى عوالم غريبة يعتقد فيها أنه يكتشف الأسرار، ويرى ما لا يمكن للأخريين رؤيته..

ولكن الحقيقة أن مايجري داخل دماغه ليس سوى اضطراب في الصور المتداعية تتخلل أشكال غريبة ربما كانت جزءاً من العوالم المشوهة التي يتخيل أنه يراها.

حتى الدخول في حالات التنويم الإيحائي لايشكل كشفاً، إنه يخضع المنوم لتأثيرات متداخلة، لاترتبط بالواقع أو بالذاكرة أو بنبضات الدماغ المنتظم..

إن أية فكرة تخطر في بال الإنسان الساعي للكشف قد تجعله يلاحق تنفيذها متعجلاً، وقد تجعله يقتل بمحاولاته الفكرة أحياناً.. كما يقتل جامع الفراشات فراشة جميلة أعجبته..

إن العقل يحوي أوهاماً وخرافات قد يتدخل المنطق أحياناً فيطردها، وربما تكون بعض هذه الأوهام والخرافات بذوراً لأفكار نافعة..

ولكن التشتت بالوهم قد يلغي المنطق أحياناً، ويسبب للإنسان الجنوح نحو عوالم غير مترابطة.. فسبحان الخالق العظيم..

*

ربما كانت الشجرة، كشجرة البلوط مثلاً أشبه بعالم كبير، بجذعها وفروعها الممتدة طوياً وعرضاً.. إنها شاهد على الأحداث الكبيرة التي جرت إبان حياتها، مثل أن تجف وتهرم وتموت..

منذ أن كانت بذرة أنتشت وتجدرت وامتدت أغصانها، وكلما كانت مرتفعة وثخينة الجذع كان عمرها كبيراً، قد يصل إلى المئتين أو حتى الخمسمئة سنة..

أحداث كثيرة قد تكون مرت عليها، وشهدت لقاءات وسهرات ومشاجرات وطيوراً تحط وتفرخ، وثعابين تسعى خلف الأعشاش التي تحوي فراخ الطيور الصغيرة.. مطر، رياح، حرارة ، ورطوبة وصقيع وثمار تنضج وتسقط..

إنها تسجل أحداثاً متنوعة، وهي تتمتع بخصائص تشبه غيرها من شجر البلوط، في استقلاليتها الكاملة.. وخبراتها الموروثة عن الأشجار القديمة، وهي تعطي هذه الخبرات بذورها التي تنتش من جديد..

ربما كان الإنسان يشبه الشجرة في الاستقلالية وكسب الخبرات وتوريثها، ولكن الشجرة الثابتة في مكانها تشهد أحداثاً حول محيطها الصغير، لو عدنا أن لها إمكانية تسجيل حدث حول محيطها يمكن لكاميرا سحرية أن تحتفظ به..

الإنسان كتلة من المشاعر والأحاسيس يتأثر بالأحداث ويؤثر بها في محيط متحرك، متنقل قد يشمل مناطق كثيرة من الأرض وقدرته على تسجيل الأحداث تفوق التصور.. فسبحان الخالق العظيم..

رغم أن الإنسان يشعر أحياناً أنه لايتذكر بعض الأجزاء من ماضيه، إلا أنه لا ينسى رغم أن الذاكرة تغلف بالضباب أحياناً..

فحين ينوم مغناطيسياً يمكن قراءة ذكرياته بدقة مدهشة، رغم أنه في حالته العادية قد يقسر ذاكرته على نبش حدث في الماضي من دون أن ينجح في استيعاده..

إلا أنه تحت تأثير التنويم المغناطيسي يستعيده بتفاصيلها المدهشة..

وربما كان الحلم منفذاً على عوالم غريبة ليس لها علاقة بعالمنا، وربما كان هو المنفذ الوحيد على تلك العوالم..

فبالحلم ينتقل الإنسان إلى الماضي أو الحاضر أو حتى المستقبل البعيد ورغم تمازج الحلم مع الواقع فإن عالم الحلم يختلف عن الواقع..

خلال أعشار الثانية قد ينتقل بك الحلم لتعيش حدثاً طويلاً بتفاصيله، فالحلم يقفز فوق الزمن العادي بسرعة مذهلة..

والحلم قد يغني الخيال بتصورات عن عوالم لم يعرفها الإنسان من قبل، وهو قد ينقله إلى أجواء الفضاء مخترقاً المسافات والسدم، ليحط الرحال في كوكب لم يكتشفه الإنسان، ولا يعرف عنه شيئاً ولا يعرف ربما عن وجوده..

وبالحلم تحقق للإنسان هذا التطور الفريد الذي يشهده حالياً، ولولا الحلم والخيال ماتحقق اختراع أو نظرية جديدة..

فكل الخيالات ترتبط بالنشاط الفكري الذي هو نتاج العقل البشري، ولولا الخيال ماجنح الإنسان نحو التطور والتقدم..

ورغم أن هذا العصر قفز بالإنسان إلى تكنولوجيا متطورة فاقت كثيراً كل تصورات الإنسان القديم؛ فإن هذه التكنولوجيا قد أثرت عليه بالحد من خيالاته وأحلامه.. وأحياناً دفعته في اتجاه أناني غير أخلاقي متناسياً الأمانة التي حملها..

غزة والأفق المفتوح

غدت المنظومة الفكرية والثقافية، والاجتماعية والدينية؛ والإعلامية والتقنية، والاقتصادية والعسكرية جزءاً لا يتجزأ من الإيديولوجية السياسية للإمبريالية الأمريكية - الصهيونية التي تتحكم بعالم اليوم. فهو يخضع لسلطة قرارها الذي اختطف قدرة المؤسسات الدولية على تحقيق العدالة بين الدول والشعوب... فقرارها ما زال مصراً على مصالحه ومصالح الاحتكارات الكبرى التي يسيطر عليها عدد غير قليل من الصهاينة؛ وعلى رأسهم اللوبي الصهيوني في أمريكا، وتقوده منظمة (إيباك).

وحين شن القرار الإمبريالي الأمريكي - الصهيوني عدواناً وحشياً على العراق ثم لبنان ثم غزة كان يرمي إلى تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الجديد الذي يقوده الكيان الصهيوني للوصول إلى مآربه. فالمشروع يحقق له أهدافه في السيطرة على الوطن العربي والمنطقة الإقليمية التي تحيط بها حتى أفغانستان شرقاً وتركيا شمالاً... فحين أعجزه تنفيذ هذا المشروع من العراق ثم من لبنان ضغط على قوى المقاومة في غزة جاهداً لكي يحقق هذا المشروع بعد أن حقق غير قليل من مشاريعه السابقة التي طرحت للسيطرة على فلسطين. وإذا كان مصطلح الشرق الأوسط معروفاً من قبل، فإن مشروع الشرق الأوسط اعتمد على التصورات التي أقرها المؤتمر الصهيوني الذي انعقد في فندق (بيلتمور) بنيويورك عام (1942م) وعلى أفكار أخرى نضجت سياسياً على يدي (شمعون بيريز) الرئيس الصهيوني الحالي، ومن مرتكزاته:

1 - اتهام الدول العربية بعدم استيعابها للاجئين الفلسطينيين، بعكس ما فعلته دولته المزعومة حين أبدت روحاً متضامنة معهم، ولذلك فهي غير مسؤولة عن ولادة قضية اللاجئين « فاللاجئون عرب بين عرب لا صفة وطنية محددة لهم»، أي أن المشكلة ليست بالأرض ولكن بالسكان...

2 - حل قضية اللاجئين غير مُجد عملياً إذا توقف أصحابها عند تاريخ المشكلة ولا بد من اتفاقيات ثنائية، لأنه ليس بمقدور العرب هزيمة إسرائيل في الحرب.

3 - هناك سوابق لحالات اللجوء في جهات كثيرة في الشرق الأوسط نتيجة الحروب والكوارث... وقضية اللاجئين الجديدة حالة من تلك الحالات لا أكثر.

لهذا ما زالت مرتكزات المشروع الأمريكي تتقاطع مع مرتكزات المشروع الصهيوني من خلال مشروع الشرق الأوسط الجديد للسيطرة على المنطقة واستنزاف مواردها البشرية والطبيعية، وفي طليعتها (النفط والغاز...) وإنهاء أي تفكير بالقرار (194) الصادر عن الجمعية العامة بتاريخ (11/12/1948م) والقاضي بعودة اللاجئين إلى ديارهم ودفع حق التعويض. وإذا ما تعثرت الأجنحة الأمريكية لأمر ما فإن صاحب القرار يسارع إلى تبديلها وفق المتغيرات المحلية والإقليمية والدولية التي تستجيب للمصلحة الأمريكية والصهيونية.

وبناء عليه يمكننا أن نتوقف من جديد عند تفاعلات العدوان الصهيوني المجرم على غزة وشعبها الأعزل الذي بدأ يوم الخميس (15/11/2012م) والذي أطلق عليه اسم (عمود السحاب) الذي يمتد هذا الاسم إلى مفاهيم توراتية، علماً أنه لا ينطلق في عدوانه الجديد والقديم إلا عن هذه المفاهيم... فالمصائب المروعة على الأرض، والحقائق السياسية والنفسية الكبرى هي التي ستحدث عما سيؤول إليه هذا العدوان المدعوم من قبل الإدارة الأمريكية ودوائر الاستعمار الأخرى. وقد جاء هذا العدوان الجديد للكيان الصهيوني ليؤكد ضعف النظام العربي الرسمي وعجزه عن حل قضاياها الأساسية وفي طليعتها القضية الفلسطينية إذا اكتفى باجتماع لوزراء الخارجية العرب وجامعة الدول العربية وإطلاق الصيحات بالفراغ... وقد جاء هذا الفعل ليثبت أن هذا النظام لا حول له ولا طول، بوصف قادته جماعات متفرقة مختلفة بعد أن اجتمعوا في قمة الخرطوم على لاءات ثلاث (لا تفاوض، ولا صلح ولا اعتراف)... لهذا نتساءل هل يستطيع النظام العربي الرسمي إيقاف المحرقة النازية الجديدة في غزة على حين كان الصهاينة رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، يساراً ويميناً قد ابتهجوا بشن عدوانهم وارتكاب مجازرهم. وقد صمم رئيس وزراء الكيان (نتن ياهو) عليها أملاً في أن يكون البطل الفائز بأصوات الصهاينة، في انتخاباتهم القادمة.

تلك هي الصورة الحقيقية لعجز النظام العربي، وهذه هي الصورة البشعة للكيان الصهيوني كما اعترف بها بعض أبنائه في الداخل... ولعل من سوء طالع هذا الكيان المتوحش أن شعب غزة الجبار قد غيّر المعادلة الصعبة فهل يستفيق العرب من جديد أمام غزة والفجر؟.

اللوبي

حاتم مبكى داخل الكونغرس

أكرم محمود الشلي

الأمريكي. ويعتد اللوبي اليهودي ثاني أكبر متبرع للحزب الديمقراطي، فإذا قام أحد أعضاء الكونغرس باتخاذ موقف مناهض لإسرائيل، فإن «إيباك» تقوم بإسقاطه في الانتخابات التالية من خلال تكثيف تبرعاتها للمرشح المنافس.

العنصر الثالث: هو قدرة اللوبي اليهودي على حشد الدعم الشعبي لإسرائيل من خلال وسائل الإعلام واتهام كل من ينتقد (إسرائيل) بأنه معادٍ للإنسانية.

أما العنصر الرابع: فهو القيادة الذكية والمتخصصة والعلمية لهذه اللجنة.

تؤكد مصادر أن الأموال اليهودية ليست هي القوة الفاعلة الوحيدة في السيطرة على الكونغرس، وبالتالي على السياسة الخارجية؛ فهناك أيضاً التنظيم والتحرك على مختلف المستويات في المجتمع الأمريكي على نحو منظم، ويثير التعاطف والتعريف بما يجري في الشرق الأوسط. فلا يصبح الكونغرس وحده هو المتحيز؛ بل يكون سلوكه مستمداً من شلال من مهن من المعلومات المضللة التي منحه اليهود الحياة والنشاط، والمساهمة في تمويل الحملات الانتخابية له، لإحداث تأثير كبير على أعضاء الكونغرس لتبني مواقف مؤيدة لإسرائيل.

ويرى البعض أن تأييد (إسرائيل) من قبل أعضاء الكونغرس الأمريكي الذين يحصلون على معونات مالية من اليهود لا يوضح أين يقع السبب وأين تقع النتيجة.

والسؤال: هل أيدوا (إسرائيل) لأنهم حصلوا على المال، أم أنهم تلقوا المال مقابل تأييدهم لإسرائيل. فهناك أعضاء حصلوا على القليل من التمويل أو لم يحصلوا عليه إطلاقاً. ومع ذلك فهم يصوتون لصالح (إسرائيل) بسبب توافر تأييد لهم من الدول العربية، أو لأن تأييد (إسرائيل) يجد صدقياً لدى الرأي العام الأمريكي.

أما العرب الأمريكيون فإنهم منقسمون على أنفسهم وعاجزون عن تكوين جبهة موحدة تعرض وجهة نظرها وتدافع عنها بالنسبة إلى المشاكل المتعلقة بالشرق الأوسط، ولكن بالمقابل لابد من السؤال أيضاً: إذا كان اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة يتمتع بهذه القوة الهائلة في السيطرة على الكونغرس؛ فلماذا لم يستطع منع قرار الرئيس ريغن في حينه بوقف تسليم (إسرائيل) طائرات «الأواكس» عام 1981م؟ ولماذا أرغم الرئيس بوش الأب حكومة الليكود في (إسرائيل) على التراجع عن سياساتها في شأن المستوطنات بعد قراره بتجميد منح (إسرائيل) قرض بقيمة عشرة مليارات دولار عام 1992م؟

ولماذا رفضت حكومة كلينتون تنفيذ القرار الذي أصدره الكونغرس بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، رغم تأييد هذا الأخير المطلق لإسرائيل وذلك في عام 1996م؟

وغيره على سبيل المثال لا الحصر عندما خضعت (إسرائيل) واللوبي المناصر لها لإنذار الرئيس إيزنهاور بالانسحاب من سيناء عام 1975م. والإجابة على هذه التساؤلات تكمن في أمر نادر الحدوث، ولكنه يحدث في بعض الأحيان، وهو أن هناك بعض المؤسسات الأمريكية التي لها مصالح سياسية في الشرق الأوسط مع الدول العربية، وتمثل بدورها جماعة ضغط للحد من نفوذ اللوبي

يدور في ذهن كل من يهتم بالسياسة وخصوصاً المعنيين بالصراع العربي الإسرائيلي سؤال بالغ الأهمية، عمره من عمر إنشاء (إسرائيل)، وتزايد أهميته وإلحاحه مع تفاقم الصراع ومع تعنت (إسرائيل) ووحشيتها، والمذابح التي ترتكبها في حق الشعب الفلسطيني، مدججة بأحدث أنواع السلاح المقدمة إليها من ترسانة سلاح حليفها الدائمة الولايات المتحدة الأمريكية، إلى جانب الدعم السياسي والدبلوماسي من أجل التغطية على جرائمها في حق الشعب الأعزل الذي تحتل أرضه، وتنتهك إنسانيته، ولكي تحميها من العقاب.

هذا السؤال يقول: لماذا تدعم الولايات المتحدة (إسرائيل) منذ إنشائها؟ وهناك افتراضات عدة تم طرحها للإجابة على هذا السؤال. والافتراض الوحيد الذي يبدو منطقياً يتصل بأمور السياسة الداخلية الأمريكية وتأثير جماعات الضغط اليهودية الموالية لإسرائيل؛ وأبرزها لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية «إيباك» وتسمى هذه الجماعات في مجملها باسم اللوبي اليهودي.

ففيما يتصل بالرأي القائل: إن (إسرائيل) تعدّ ركيزة استراتيجية للولايات المتحدة بوصفها خط الدفاع الأول أمام خطط التوسع السوفييتية في منطقة الشرق الأوسط، قد أصبح ليس محلاً له من الإعراب، وقد صدقته بعد سقوط الحجة بسقوط الاتحاد السوفييتي وانتهاء إمبراطوريته، بعد أن نخر فيها سوس الفساد وأرقتها ميزانيات الدفاع الهائلة.

كما أصبحت (إسرائيل) أقوى من جيرانها كافة على المستويين العسكري والاقتصادي، مما يسقط حجة الخوف على (إسرائيل) من الدمار والاقتلاع. كما أن القول: إن (إسرائيل) حليف استراتيجي لأمريكا قد ثبت مدى عدم صحته من خلال حرب الخليج؛ حيث بدت (إسرائيل) كالبطة الكسيحة، وتحملت أمريكا عبء الدفاع عنها ضد هجمات صواريخ «سكود» العراقية المزعومة، فتحول الحليف الاستراتيجي إلى قيد حديدي في قدم الولايات المتحدة، يعرقلها ويمنعها من الحركة.

وبعد انتهاء حرب الخليج قام اللوبي اليهودي بإسقاط الرئيس بوش الأب في الانتخابات بسبب قيامه بوقف قرض قيمته عشرة مليارات دولار لإسرائيل، لإجبارها على الدخول في مفاوضات السلام مع الفلسطينيين. وقامت المنظمات اليهودية بدعم المرشح المنافس بيل كلينتون الذي أصبح بعد نجاحه في الانتخابات من أكثر الرؤساء تأييداً لإسرائيل.

إن السياسة الداخلية الأمريكية هي المفتاح الرئيسي لفهم سر الدعم الأمريكي لإسرائيل، وصنع السياسة الأمريكية الخارجية الأمريكية الإسرائيلية «إيباك».

إن قوة إيباك تعتمد على عوامل رئيسية عدة، أولها: أن هناك ستة ملايين يهودي يقومون بالتصويت في الانتخابات بشكل منظم بدرجة عالية؛ فحوالي 90% من اليهود يشاركون في الانتخابات، علاوة على ذلك فإن الأصوات الانتخابية مركزة في ولايات رئيسية مثل كاليفورنيا ونيويورك وإيلينوي وفلوريدا وأوهايو، وهي تعدّ ولايات أساسية للفوز في الانتخابات.

العنصر الثاني: هو قدرة «إيباك» على جمع التبرعات من حوالي عشرة آلاف عضو بارز في الولايات المتحدة، وتخصص هذه التبرعات عادة للمرشحين المواليين لإسرائيل في الكونغرس

المعارك الثقافية: من فضاء التسامح إلى نفي الآخر

حسن إبراهيم أحمد

هناك من يرى أن الحياة في أساسها ومجملها، معارك يخوضها الإنسان منذ ولادته وحتى وفاته، وعلى الجبهات والمستويات كافة، فيربح أو يخسر، وذلك رهن القدرات والاستعدادات وظروف أخرى، وليس المجال الثقافي سوى واحد من المجالات التي قد تكون فضاءاته مؤهلة لتخاض فيها المعارك.

وإذا كان مفهوم المعركة مستعاراً من خارج حقل الثقافة، بوصفها حالة ارتقاء عقلي وذوقي جمالي، وطاقات مختلفة عن تلك التي يمتلكها المحاربون على جبهات الحياة الأخرى، فما لا شك فيه أن التناحرات الثقافية قد تحيل إلى مجابهة بين المثقفين، وقد لا يكون في مقدورهم تلافي ذلك دائماً. والسلاح في هذه المعارك مختلف عنه في معارك أخرى؛ فهو مؤلف من عناصر ثقافية فقط، مالم تكن المعركة رديفة لغيرها في مجال آخر، ما يجعل مفهوم المعركة يستعار للدلالة على ما يحدث بين مثقفين مختلفين جداً في رؤاهم وأفكارهم واتجاهاتهم، يؤدي إلى تناحر وافتراق على هذا المستوى، يجرّد فيه المتحاربون كل إمكاناتهم الفكرية والعقلية، وكل مهاراتهم الإقناعية في سبيل تشويه أو ردّ أفكار الخصم وانتزاع الإعجاب والإقناع.

وإذا كان من ميزات الحروب والمعارك في مجالات الحياة الأخرى أنها تدميرية، تحطم إرادة الإنسان ومقدرات حياته، فليس بالضرورة أن تكون المعارك الثقافية كذلك؛ إذ من شأنها أن تسهم في إغناء الحياة وإكسابها وعياً جديداً وإضافات جمالية وفكرية، لم تكن لتوجد لولا هذه الحروب التي يستعد لها المحاربون بعقول ذات طاقات مميزة وخبرات وأساليب مختلفة، ونتائجها لا تخلو من الأذيات.

لو عدنا إلى تاريخ الإسلام في بداياته، لوجدنا أنه كان معركة كبرى على كافة المستويات. فكانت معركة إثبات الوجود التي تم خوضها بالسيوف والرمح، وسالت فيها الدماء في معارك مشهودة مثل بدر وأحد وغيرهما، وليس ببعيد عن هذه، معركة على مستوى الاقتصاد تمثلت في سلب الآخر ما يملكه مثلما كان مخططاً لاعتراض القافلة في بدر، أو الاستيلاء على أملاك اليهود في المدينة، أو أسلاب المعارك كما حدث في حنين وغيرها. وكانت هناك معارك اجتماعية ومعارك ثقافية.

ظهرت المعارك الثقافية في حقلين: الأول عقدي؛ حيث كان الإسلام تطويراً وتجديداً للعقائد الإبراهيمية السابقة، وهذه تمكن الإنسان من امتلاك وعي جديد، هو في المحصلة، وإضافة إلى الحالة الروحية، إغناء لفكره وعقله. والثاني، تجلى في منافحة الأعداء على تخوم اتهاماتهم وشتائمهم وهجائهم للإسلام والنبى، وقد تصدى لذلك شعراء مثل حسان بن ثابت الذي كان يرد على شعر الخصوم ومنهم القرشيون؛ حيث وعد الرسول أن يستله منهم مثلما يستل الشعرة من العجين، عندما قال له النبى: اتجهوهم وأنا منهم؟! وهذا يشير إلى أهمية المعركة التي تخاض شعرياً وبأدوات تنتسب إلى عالم الثقافة وهي اللغة وأساليبها، والأدب ومجالاته ما يسهم في انتصار المحاربين على خصومهم، وكان العرب متعددين على أثر الشعر والخطب وفاعليتها في معاركهم، وإذا كانت هذه النشاطات الثقافية من مجريات الحياة العادية، التي لا تصنف في خانة الحروب، فإن أشكالاً أخرى قد تم تطویرها لمواجهة الرأي بالرأي والفكرة بالفكرة والتأثير العاطفي بتأثير عاطفي مقابل؛ أي إن الناس لم يكونوا يستسلمون لحالات الإخضاع بيسر وسهولة، طالما كان لديهم الإمكانيات للمواجهة والرد وإظهار التفوق، وهذا منزع إنساني معروف ومفهوم ومبرر، وسنلاحظ أنه ربما أخذ مناحي كان لها آثار سلبية كثيرة على المجتمعات، في الوقت الذي نأمل من المعارك الثقافية أن تكون أكثر إغناء للعقول. من المعارك التي بقيت ثقافية، ولم يكن لها امتدادات إلى حقول الحياة الأخرى، ولم تؤسس لعداوات أو كوارث، تلك التي نشبت شعرياً، ومن أبرز أمثلتها ما جرى بين جرير والفرزدق في العصر الأموي، وقد تركت لنا تراثاً شعرياً هاماً، مع ما فيه من فحش، تمثل في القصائد التي سميت ((النقائض))، وكتب عنها الكثير، ككتاب أحمد الشايب، وكانت تحاكي بعضها بعضاً، فالشاعر عندما يهجو شاعراً أو من يتحزب له، يرد عليه الثاني بقصيدة من القافية ذاتها والروي والبحر ذاتيهما للقصيدة المهاجمة، فتكون الثانية ناقضة للأولى. وقد بقيت المعركة بين الطرفين أدبية، مع أن أكثر من ثمانين شاعراً قد انحازوا للفرزدق وساهموا ضد جرير،

ولم تتعد الشعر إلى أسلحة أخرى، وكان طرفاها يشاهدان راكبين جملاً واحداً، وقد رثى جرير الفرزدق بحرارة ومرارة، ما يدل على غياب الحقد بينهما؛ بل كانا على مودة، وهما ينتسبان إلى قبيلة واحدة، وفضاء ثقافي واجتماعي واحد، ورؤية شعرية واحدة ربما؛ فعندما بدأ جرير إنشاد قصيدته التي سماها ((الدامغة، أو الدماغة))، وعند مطلع بيت فاحش وضع الفرزدق يده على عنقه لئلا يسترثها، وجاء الشطر الثاني ((كعنفة الفرزدق حين شابا))، وكانت القصيدة في هجاء صديق الفرزدق الراعي النميري، ويذكر جرير فيها أخته بفحش، قال الفرزدق: لعن الله ابن الأتان، ظننت أنه ذاكرها (يعني عنفنته)، قالوا: وما أدراك؟ قال: ألا تعلمون أن شيطاننا واحد؟

يمكننا القول إن هذه معركة ثقافية، بأدوات ثقافية، هي اللغة وتوظيفاتها الأدبية، وقد كانت من المعارك البسيطة التي انتهت من دون ذبول وأحقاد أو تبعات، فمناخها شعري فقط. لكن هناك معارك أكثر تعقيداً مع سمتها الثقافية؛ أي لا تخرج كثيراً إلى فضاءات أخرى، ولا تستتبع تناحرات شديدة، حتى لو بدا التناحر الكلامي فيها جارحاً وقويماً، فالمعركة التي أطلق عليها ((الشعوبية)) هي من هذا النوع؛ إذ برز التفاخر بالنفس والقوم بين العرب وغيرهم من أبناء الشعوب الذين انضوا تحت راية الإسلام، وأصبحوا رعايا الدولة الإسلامية؛ حيث كان العرب يرون أنهم أفضل من غيرهم؛ لأن النبي منهم والقرآن نزل بلغتهم، إلخ، لكن أبناء الشعوب الأخرى ممن يرون أن لهم تاريخاً وحضارة ممتدة وحضوراً هاماً في الماضي المعروف، مثل الفرس أصحاب الصولة والجلوة، لم يستطيعوا أن يعترفوا للعرب بتفوقهم عليهم، وهكذا غيرهم. وهنا نشبت معركة التفاخر، حيث يذكر كل منخرط مفاخر قومه التي يتفوقون بها على غيرهم ويعظمها ويشيد بها، من دون أن ينسى انتقاص ميزات الآخرين وذمها، أو بيان قصورها عما لديهم. وقد احتدمت المعركة، وانخرط فيها أصحاب رأي وثقافة، فهي معركة على هذا المستوى، وتحتاج من يملك قدرات عقلية وفكرية ثقافية؛ كي يدلي برأيه فيها، وقد ساهمت هذه المعركة بتعرف الشعوب بالشعوب وعاداتهم ومفاخرهم ومزاياهم، كما نقائصهم، وبيان كل ذلك من جهات نظر متعددة يسعى كل طرف لاستقصائها عن نفسه وعن الآخر، وقد بقيت المعركة في هذا الإطار الثقافي، حتى مع ما خرجت إليه من ابتذالات أو شتائم وانتقاصات، لكنها تلاشت عندما ذابت مكونات هذا التجمع البشري في بوتقة الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي، لينتقل الناس إلى معارك من نوع آخر، ويمكن الإطلاع على هذه القضية التي عرفت بالشعوبية، بمراجعة ما كتبه الجاحظ عنها، بما عرف عنه من راحة العقل والعلم الغزير والفكر الثاقب.

الحياة تزاد تعقيداً، وينعكس ذلك على الثقافة، وتكثر التيارات الفكرية والعقدية وتؤثر في واقع المجتمع العربي الإسلامي كل نتاجات الأقسام واختلافاتهم وتميزاتهم، إضافة إلى ما تولده الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والروحية من عناصر تصنع حولها التفافات وعصبية وتشنقات، فكان من الصعب أن تحافظ على المعارك الثقافية بعيدة عن تأثيرات تجديدها إلى مناخات أخرى. وهي عندما تدخل متاهات اللاهوت والعقائد، يصعب عليها أن تحافظ على هدوئها ونسقيتها الثقافية؛ بل لا بد أن تنحرف عن هذا المسار، لأنها عند ذلك لا تتأسس على اللغة ومجالاتها التعبيرية؛ بل تأخذ منحى تيولوجياً أحادي الاتجاه، ينتحر عندما يعترف لغيره بالفضل وحق الوجود، بالتالي يبعث عن التسامح.

وإذا كان من الصعب تتبع السياقات المذهبية، وتشكلات الفرق الدينية وما آلت إليه من تشعبات وتناحرات واختلافات، هي في الأساس آراء وقيم ثقافية، أي إنها تعمل وتنشط في مجال الوعي، وتحاول التأثير فيه بجذبه إلى حيزها وتنفيره من غيرها، لأن المعارك سباق للقبض على المجتمع بكليته؛ أي ليصبح مجتمع مؤمنين متوجهين حتماً إلى الجنة. وهنا تبدو حدة الاختلافات والتيارات والقناعات التي تغذيها النصوص وإدارتها، إلا أن معارك مشهودة كانت فيها الثقافة واتجاهاتها المدعومة بالعقائد والداعمة لها، وكان لها الأثر الكبير في التاريخ الفكري الإسلامي والعربي، مثل تلك التي دارت حول ((خلق القرآن))، يمكن أن تكون نموذجاً لمعارك المستقبل، مع أنها في الفضاء الإسلامي الواحد، وإذا كان لهذه المعارك من ميزة، فيمكن أن يشار قبل كل شيء

إلى أنها معارك نفي الآخر. وإذا كانت المعارك العقدية قد بدأت قبل ذلك، فهي قد كانت معارك على انحيازات سياسية دخلت حيز الإيمان، فصنعت تياراً إيمانياً يوظف اللاهوت لإحداث التأثير المطلوب، وجذب الأنصار والمريدين، وحيازة المكانة على حساب غيره. وهنا تكون الميول والقناعات اليقينية هي التي توجه النشاط والفعالية. لكن في معركة خلق القرآن كان الطرفان المتعاركان يتوسلان طريقتين متناقضتين:

الأول، هو القدرات العقلية المنطقية لعلم الكلام المتسلح بعناصر من الفلسفة اليونانية والمنطق، وهو ما يميز المعتزلة في التاريخ العربي الإسلامي، مقابل الثقافة الشفهية، ثقافة النقل التي تعتمد منطوق النصوص بعيداً عن تحكيم العقل أو الرأي في الاستنتاج والاستدلال، وقد سمي أنصار هذا الاتجاه بأهل الحديث. الثاني، هو طريق السلطة السياسية المباشرة التي تتدخل بكل قوتها المباشرة لحسم المعركة. وقد بدأ ذلك حين أمر المأمون، الخليفة العباسي المثقف، بالانتصار لرأي المعتزلة في مجال العقيدة ونفي خصومهم بامتحان العاملين الفاعلين في مجال الثقافة من قضاة ورجال إفتاء ودين، وإجبارهم على الاعتقاد أو إعلان الاعتقاد برأي المعتزلة في مسألة خلق القرآن وتعذيب لم يمثل وسجنه، وقد استمر ذلك في عهد المعتصم والواثق. حتى إذا جاء عهد المتوكل انقلبت الآية بانتصار السياسة للرأي الآخر؛ أي لقدم القرآن وأنه غير مخلوق، وملاحقة من لا يقول بذلك، وهكذا أصبح للثقافة أظافر وأنياب؛ بل وسيوف وسجون وسجانون وقيود وقادة وخلفاء.

كنا قبل هذه المعركة قد شهدنا حالات وانثقافات فكرية جماعية كالمعتزلة، أو فردية غير بعيدة عن هؤلاء، من رجال فكر ورأي يجهرون به، حتى لو خالف السلطان وكان ضده، وكثيراً ما دفع هؤلاء ثمن مواقفهم، مثل: عمرو المقصوص وغيلان الدمشقي والجعد بن درهم، وبعد ذلك آخرون خاضوا معارك فكرية وثقافية، ودفعوا الثمن ذاته انتصاراً لقناعاتهم الثقافية الفكرية، أمثال: الحلاج والسهورودي والنسيجي. إلا أن السمة التي كرستها وأسست لها معركة خلق القرآن، خاصة في دور السلطة في معارك الرأي والثقافة، كان لها الدور والصدى الكبير الذي طبع مستقبل الأمة، من دون أن يعني هذا، أن الدولة قبل ذلك لم تكن تتدخل في قناعات الناس العقدية والسياسية، فهي دائماً مسلحة برأي وعقيدة تدافع عنهما بكل قوة، وأهم مظهر لذلك استبعاد خصومهما.

معركة خلق القرآن لا تزال فينا، في ملنا وجماعاتنا، في أساليب تفكيرنا وعقل سلطاتنا؛ فما دمنا لسنا على استعداد كافٍ لبذل الجهد المعرفي والتأسييس له وعليه في سبيل إنجاز اتجاه مقنع يجذب الناس إليه بحيويته وجدارته، فلا غرابة أن تكون السلطات المنحازة مهيمنة، ومعلوم أن السلطات لا تعرف من الأساليب أكثر من الأسلوب الذي وصلت به إلى الحكم، وهو العنف، وتراه مجدياً وجديراً بتحقيق نتائج آنية ترغب بها.

لقد أصبحت السلطات السياسية شريكة للمثقفين، أو سلطات بنت مجدها ووجودها على فكرة أو نظرية اجتماعية فكرية ثقافية، بالتالي يكون من تحصيل الحاصل أن تعمل وتبذل الجهد لإنجاح خطها الفكري، فتقرب من انحاز إلى صفها، وتنفي غيره في معركة مستمرة.

هناك معارك تجري في حيزات ثقافية قد يكون موقع السلطات فيها قليلاً، أو هي قريبة من حقل السياسة، أو أن السلطات تقدم بعض الترضيات للمثقفين، فلا تتدخل عنفاً حفاظاً على الفكر ديمقراطي تدعيه. هذه المعارك قد تكون بلبوس الأدب أو الفكر الاجتماعي أو التاريخي، فتكون على مسافة من السياسية، مع أنه لا نشاط خارج السياسة. فلقد دارت معارك حول عروبة مصر مثلاً، تمحورت حول آراء طه حسين بعد صدور كتابه ((مستقبل الثقافة في مصر))، وقد تجددت هذه المعارك في سبعينيات القرن العشرين إثر عودة لؤيس عوض إلى الموضوع، ما استتبع نقاشات فكرية وحوارات ممتدة على صفحات الجرائد، كانت النبرة الفكرية فيها عالية. وقبل ذلك وبعده دارت وتدور معارك حول بعض الآراء الفكرية، مثل تلك التي دارت حول كتاب طه حسين ((في الشعر

الخيال في الشعر العربي

● أحمد الخوص



المتنبي

ويعرف الأمر قبل موقعه
فما له بعد فعله ندم
والأمر والنهر والسهاب والـ
بيض له والعبيد والحشم
والسوطات التي سمعت بها
تكاد منها الجبال تنفصم
أرأيت إلى هذا الإنسان ذي الجاه الجليل والترف
الكثير، والفارس الذي ما بعده فارس، وقد أدركت
الخيول بأسه وقوته في تخطي الصعاب، يقول
خليل مطران:
أخو ترف قد تعرف الخيل بأسه
ويحفظ من آثاره الطود والوهد
ومن مثل جرح طاهر النفس والهوى
ومن مثله حر ومن مثله نجد
والواقع أن الفارس الحقيقي هو الذي يعرفه
الناس من خلال غبار المعارك التي تعصف هنا
وهناك، وأبطال الأمة فرسان أقوياء ليس باعتبار أن
الشجاع يقود الجبان أين يريد؛ إنما الشجاع الذي
تطيعه الأبطال الأشاوس والفرسان الأقوياء؛ يقول
ناصر البياضي:
وفارس الخيل من خاض العجاج بها
وحوله من كرامة القوم فرسان
ليس الشجاع الذي انقاد الجبان له
إن الشجاع الذي طاعته شجعان
وينفي يونس القسطلّي تعجبه من حنكة
صغير السن وحكمته، ويشبه ذلك بالمهر الصغير
الذي يسبق أباه بخفته ورشاقته؛ فليس كل كبير
سباقاً؛ فقد يكون السهم على صغر حجمه أقوى من
الرمح سرعة واقتداراً، فيقول:
ولا عجب بسؤدده صغيراً
فإن الخيل أنجبت المهارة
وإن السهم وهو أدق شيء
يفوق الرمح سبقاً وابتداراً
وهكذا نرى أن للخيال دوراً في حياة الأمة العربية،
وأن للأمة العربية دوراً في تربية الخيل وتنشئتها
التنشئة القوية؛ هكذا قيل وهذا هو الواقع.. ألم
نسمع قول المتنبي:
فالخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

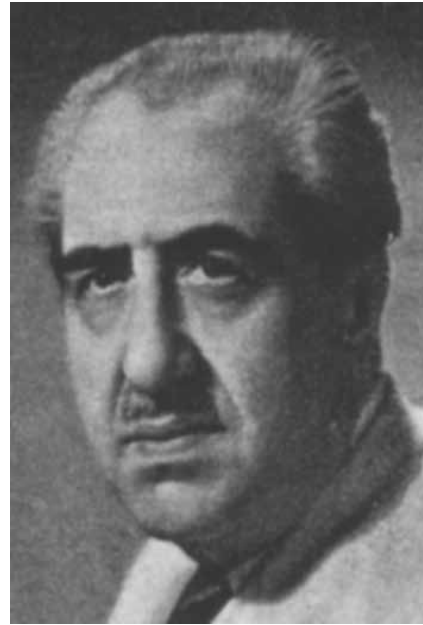
قال تعالى في محكم تنزيله: (وأعدوا لهم ما
استطعم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو
الله وعدوكم) صدق الله العظيم.
كان للخيال وما زال من القيمة المادية والمعنوية
ما كان.. فيه تقدر ثروة القبائل والرجال وبه تقدر
قوة الجيوش.. وبالأخص عند العرب الذين عشقوا
هذا الحيوان، ونشأ بين رجالهم وخيولهم علاقة
رحمة وصداقة ومودة. ففتنوا بالاهتمام بخيولهم
والاعتناء بها، وتغنوا بها في أشعارهم.. فكانت
رمز رجولتهم وشجاعتهم، شاركتهم غزواتهم
وفتوحاتهم وأسفارهم حتى جعلوا لها الأنساب
والقبود، وحافظوا على أصالتها لما تمتاز به الخيول
العربية من جمال وقوام ورشاقة وسرعة وخفة..
وذكاء.. وشجاعة.. فقال أبو البقاء الرندي:
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة
كأنها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة
كأنها في ظلام النقع نيران
وراتعين وراء البحر في دعة
لهم بأوطانهم عز وسلطان
كما اهتم العرب بسباق الخيل وجعلوا الساحات
ميداناً لها وها هو ذا أبو العلاء المعري يصور بقلمه
الرائع دور الخيل في حرب داحس والغبراء تلك التي
دامت أربعين عاماً.. وهو يبشر بأن النصر أغلى من
الذهب فيقول:
إن تركب الخيل أو تضرب مراكزها
من عسجد فإلى الغبراء
تنصرف
والإنسان شرف وقيمة وإخلاص للمبادئ العليا
وللقيم الكريمة التي عاشتها أمتنا العربية مما
جعلها تفوز على أعدائها بالخيال التي تركبها
وبالقوة التي تربدها، فأصبح العربي يوازي الحصان
والعكس بالعكس في المعارك التي خاضها العرب
للدفاع عن شرف الأمة العربية. يقول أبو الفضل
الوليد في هذا المضمار:
وأكرم الخيل جالت في معاركنا
وإذ خلا الجوّ خالت في مراعيها
تردي وقد علمت أنا فوارسها
ولا تزال لنعلوها وتعلينا
أما شاعر الفرسان وفارس الشعراء أبو فراس
الحمداني قد خبر في تجاربه المستمرة أن للخيال
درجات عند من يعرفها ومقامات عند من يركبها
وأهداف عند من يريد العزة والكرامة؛ لأننا أمة تؤمن
بالشهادة أو النصر، وكأنه يعرف أن الخيل تعلم
هذا السر فيها فيقول:
كأن الخيل تعرف من عليها
ففي بعض على بعض تعالي
علينا أن نعاود كل يوم
رخص عنده المهج الغوالي
فإن عشنا ذخرتها لأخرى
وإن متنا فموتات الرجال
أما المتنبي شاعر العروبة والفروسية والبطولة
فيمدح سيف الدولة الحمداني، وكيف أن خيله
تنفذ إلى كل مكان من دون أن تشعر بالآلم، وسيف
الدولة يعرف الأمر قبل الخوض في المعارك؛ فهو
الناهي والأمر الذي لا يندم على فعله، وتؤيده بذلك
فرسانه الشجعان الذين يطلبون الموت فتوهب
لهم الحياة فيقول:
ويطعن الخيل كل نافذة
ليس لها من وحائها ألم

دمشق ورموزها في شعر

الشاعر خليل مردم بك

(١٨٩٥-١٩٥٩)

● أحمد سعيد هوش



خليل مردم بك

يقول الدكتور سامي الدهان في مقدمته
لديوان الشاعر خليل مردم بك:
«فقد كان يؤمن بأن للنضال عليه حقاً،
لذلك عاش حياته كلها يعمل للأدب
ويتغنى بالثورة، فهو في برزخين أبداً
ينتقل من هذا إلى ذلك، كما ينتقل الطير
من فنن إلى فنن فكان ينظم الشعر في
الجمال كما ينظمه في خير وطنه وفي إثارة
الشعب ورد الطغيان ورفع الظلم، فكانت منه
قصائد عامرة نظمها في الوطنية والعروبة
وطرد الفرنسيين رددتها دمشق وتغنّت
بها..»
وقد تجلى ذلك حبه لوطنه (سورية)
ومدينته (دمشق) التي ولد وترعرع وعاش
طوال حياته فيها وضمه ترابها..
وقد زاد عدد أبيات قصيدة (دمشق) على
الخمسين بيتاً، استعرض فيها مكانة دمشق
في قلبه وحبه الذي لا يوصف لها، ذاكراً
جمالها، وجمال نهرها (بردى) وغوطيتها
الغناوين، وتاريخ دمشق العريق منذ العصر
الراشدي إلى العصر الأموي وانطلاقة
الفتوحات العربية منها إلى مشارق الأرض
ومغاربها، ودفن البطل صلاح الدين الأيوبي
فيها؛ ثم ينصرف إلى ذكر موقعة (ميسلون)
واستشهاد البطل (يوسف العظمة) فقال
فيها:
(أدمشق) ما للحسن لا يعدوك
حتى خصصت به بغير شريك
أشغفته حباً وتمت فؤاده
فغدا بكل طريفة يصفيك
سبحان من أعطاك أشهد أنه
وفى وزاد بسببه معطيك
أبرزت للأبصار أروع مظهر
في الحسن والإبداع عن باريك
مهوى القلوب لكل روح رواحة
ولكل عين قرّة واديك
لقد أبدع الشاعر خليل مردم بك وأجاد
في وصف دمشق وطغى على الرصيف حبه
العميق لدمشق، فجاء الوصف غاية في
الروعة والإتقان.
ثم يأتي الشاعر إلى ذكر نهر (بردى)
فيقول:
وكانما (بردى) سبائك فضة
تجري على دُرّ بها مسلوك
وكانما حصاؤه وبريقها
عقد من الألماس في هاديك
ولا ينسى وصف الغوطتين إذ قال:

الغوطتان) وأنت مثل جزيرة
بحران يلتطمان في شاطيك
و(الغوطتان) وأنت بدر ساطع
لكليلة ظلماء ذات حلوك
ثم يستعرض الشاعر خليل مردم
بك واقع دمشق التاريخي ومن زارها من
الشخصيات الإسلامية المعروفة فقال:
(عمر) الذي وطئت سنايك
(إيوان كسرى) قد ترجل فيك
رفعت (أمية) فيك أعظم دولة
كانت قواعدها سيوف بنيك
كم من شمس ليس يغرب
من (عبد شمس) ضمها ناديمك
ثم يصل إلى ذروة الحب لدمشق فيقول:
تهوى قلوبهم إليك صباية
لولا مشاعر (مكة) حجوك
لولا حمى (البيت الحرام)
عند الصلاة وجوههم ولوك
وفي الختام يذكر كارثة (ميسلون) وما
انتهت إليه من مأس كان أولها استشهاد
القائد البطل (يوسف العظمة) وتفكك
الجيش العربي فقال:
في (ميسلون) أسى يطول
عانيهما ما كان بالمفكوك
لم أدر يومئذ أمنتدبوك أم
أهلوك أم حكاهم وتروك
ما أنس لا أنس العيون وقد
في شهر (آب) بوبلها تبكيك
وعلى الشهيد (يوسف العظمة) ورفاقه
يحق أن تبكي العيون دوماً.

القصة القصيرة في الجزيرة

واقع وآفاق

محمد باقي محمد

أكانت هذه العلاقة بالسلطة، أو على الصعيد الاجتماعي؟

ويختلف تناول عند صبري رسول، إذ يستعير السفر من معناه التقليدي، ليشير إلى مقتل طفلة على أيدي أناس جاؤوا العراق من خلف المحيط، فتبكي شخصيته المحورية ذكراها، ولا نطن بأن الإشارة إلى الآخرين - الذين قدموا من خلف المحيط في توجيه - ستعيب عن القارئ الحضيف، أصعب الاتهام موجه إلى الأجنبي إذا، فيما ترمز الرصافة إلى العراق..

في حين يرتحل ملكون ملكون إلى الورا، ليعبر بطله شطراً من الأراضي التركية بالقطار، وليتذكر أرضاً انتزعت من أهلها قبل عقود، فيما راحت الأسئلة تتوالى، أن كيف، فهل كان ملكون يذكرونا بمجازر ارتكبت بحق طائفة عيبتها؟

أماماهين شيخاني، فيضع بطله في البرزخ، ليجد النطاسون صورة فتاة في قلبه، وعلى نحو ما راحت رائحة تزكم الأنوف في كل مكان، حتى إذا فزرت الطبيب إجراء قثطرة له، تساءل؛ وماذا عن الرائحة؟! توأ ستحضرنا رواية «العطر» لباتريك زوسكيند لتشابه في المناخات، لكننا سنتساءل عن طبيعة تلك الرائحة، وإن كان حضورها سالياً! تتشابه مناخات عبد الرحمن السيد في قصصه القصيرة جداً، ثمة أفراس تدرت، لكنها تخذل فرسانها والسائس، ثمة شهيد يتقاتل أبناؤه على بندقيته، بعد أن باعها أحدهم سلفاً كخرقة، ثمة أمسية أدبية يصعد جمهورها إلى المنصة لإلقاء الشعر، ليبقى عامل الصالة وحيداً، ثمة أميرة تصغي لأبيها الذي أسرف في وصف بطولاته، فقامت بتقليده؛ إذ اغتصبت الأمر، لتتحول إلى عاهرة، وثمة أرض مُغتصبة تستنجد، لكن حراسها هم الذين أدخلوا الزناة إلى حجرتها، أكثر من موضوع يشغل السيد إذن، ابتداء بالوطني، وانتهاء بالثقافي والاجتماعي، فالساسي أيضاً..

وفي اشتغال شبيه يلجأ أنطون أيرط إلى التكثيف، ليشرح عجز اللصوص عن سرقة أحدهم، وعجزهم - من ثم - عن سرقة مصرف، حتى إذا سحنت الفرصة، فوجئوا بخواء الخزنة، ما يشي بفساد ينخر البنية المجتمعية، إن في السلطة أو بين الناس..

محمد خير عمر اشتغل على حسون وقع في فخ الالتصاق، وعندما أطلقه تلميذ من خلف شقيقه الصياد، فوجئ بصيادين أوقعوه في الفخ ثانية، فهل كان الحسون يبحث عن الحرية، وهل كان الصيادون صورة للسلطة بمختلف أشكالها في عموم العالم المخلف، سواء أكانت سلطة العائلة أو القبيلة أو الطائفة أو الدولة؟

ويختتم عمران عز الدين التظاهرة بآبن يشرح لأبيه الميت معاناته في التحصل على أذن بزيارة قبره، فيما يزوره مسؤول رفيع المستوى ليحدثه عن إزعاج الأموات للأحياء، ويطلب إلى الأب كتابة تقرير بتحركاتهم، لكنه يتلقى وإبلاً من الرصاص؛ إذ يرفض، ليفاجأ بأن زوجته قد تزوجت قبل أنتهاء العدة، وأن بناته قد نحين الشرف جانباً، وأن ابنه مجرد قواد لهن، يعود إلى المقبرة، غير أنه يباغت بما هو أدهى، فيرفض العودة إلى قبره..

وإذا هل ثمة حاجة بعد للتأكيد على أن

البقيةص ٢٢

قصيدة الشباب.. إشكالية الحداثة، وأسئلتها

محمد حامد

بدايةً من نقصد بـ (الشعراء الشباب)؟.. هذه التسمية عنت منذ مطلع سبعينيات القرن العشرين على السنة بعض النقاد والصحفيين أمربن مجتمعين: الإشارة إلى ولادة شريحة شعرية جديدة ذات (حساسية فنية) جديدة في بعض هذه التجارب الناشئة، وكان لكل بلد عربي مجموعة من هؤلاء الشعراء الشباب.. لم يكن هناك ما يمكن تسميته /تياراً شعرياً/.. عربياً شابياً، ولا كتابات تتحدث عن هذا التيار، ولا رابطة تجمع هؤلاء، وتحدددهم.

السؤال: من هم هؤلاء الشعراء الشباب؟.. في الواقع النتاجات التي تستحق الوقوف محدودة، والإضاءات على هذه التجارب قليلة، وقد تكون عبر مادة صحفية، أو علاقة شخصية تعرف بأحدهم، ولا توجد دراسات نقدية، وتقويمية لنتاج هؤلاء، وإن وجدت فهي قليلة.

في التقسيم الزمني لهؤلاء فولاداتهم في الخمسينيات، والستينيات، والسبعينيات وما تلاها.

وفي الاتجاهات السياسية كانوا بين التيارات القومية، واليسارية.. بين الطموح القومي، وفكرة دولة الاشتراكية، والعدالة، والتحرير، والتحرر. كثيرهم كان ينتمي إلى الريف أو من هاجر أباًوهم إلى المدينة، وسكنوها، وسيظهر في الكثير من نتاجهم تنازعهم في المدينة، والريف، وتعبيراتهم في ذلك كما ظهر ذلك سابقاً في شعر أبناء الريف الذين ذهبوا إلى المدينة ك (بدر شاكر

السياب - محمد الماغوط - علي الجندي - محمد عمران) وغيرهم.

لاشك كثيرهم أغوته أفكار اليسار/ بألوانه، وأطيافه كما أخذتهم الرومانسية، والانديفاعات الشبابية، كان تشكيلهم الاجتماعي يأخذ غالباً طابع المجموعة/ أو ما نسميه /الشلة/، سواء عبر المقاعد الدراسية في الجامعات، أو عبر جلسات المقاهي بين شرب السجائر، وسخونة المناقشات.

كانت لقاءاتهم كشباب أكثر مما هولقاء تجارب شعرية بوصف /التلور/ لم يحصل، والضبابية حاضرة في الكثير من أشكال التعبير.

كانت عناوين: التمرد، ورغبة التخطي، والتجاوز، وضرورة التميز عن سابقهم تشكل عوامل دفع، وحرآك لهم، معتقدين أنهم سيصنعون (حداثة في الحداثة) التي سبقهم فيها المؤسسون: السياب، والملائكة، وسعيد عقل، ونزار قباني، والبياتي، وغيرهم.

كانوا يهاجمون القديم، والحديث، ومرة قال لي أحدهم: (أريحونا من المتنبي وبدوي الجبل، ونديم محمد) وغيرهم. هكذا كانت فكرة التخطي والتجاوز لديهم.. كان المتنبي، وامرؤ القيس، والبحتري، وأبو تمام هم الأسلاف في رأيهم، أما أحمد شوقي، والجواهري، وبدوي الجبل، وحتى إلياس أبي شبكة، وغيرهم فهم ما بعد الأسلاف.

كما قلت لا توجد دراسات نقدية، وتصنيفية لهؤلاء عدا بعض (المتابعات الصحفية).. ذلك حاصل على مستوى القطر الواحد، وربما على مستوى الأقطار العربية.

في المقاربة التوصيفية لتجارب الشعراء الشباب، والتعرف إلى الجامع في هذه التجارب نلاحظ في هذه التجربة، أو تلك، هموم الذات الفردية في وحدتها، وغربتها، وأيضاً في عيشتها، وفي جنونها، وكآبتها، يقاربون وقائع في الحياة اليومية في المدينة: الحاجات، المفارقات، المسافات الاجتماعية، وبعضهم يعتمد الرمز، أو الأسطورة، والبعض يعبر عن الأفق المسدود أمام جيل الشباب، وطموحاتهم، وأمالهم. قصائد

تقرأ بعض هذه القصائد فتضيق أمامك استهلااتها، ومفاتيحها، وتغيب المعاني، والاحتمالات فيها، والعلاقة بين المفردات كألفاظ تسبق أهمية صياغتها، وترتيبها لتعطي معانيها. في مصطلح (الجبل) قد يصح المصطلح زمانياً؛ نقول: جيل السبعينيات - الستينيات، وهكذا.. لكنه لا يصح كجامع/ فني وخصائصي/ وإن تقارب الجبل في أشكال التعبير (قصيدة النثر أو بعض التفعية).

هكذا قامت تجربة الشعراء على تصور زمني اجتماعي أساسه (صراع الأجيال) وقاعدته / التخطي، والتجاوز/ كشروط للتقدم، والإبداع، وهذه المقولات تستند لفكر /لحداثة الغربية/، وتجاربها الجديدة، ومسألة حركة التاريخ عند /هيغل/ وما تلاه من حداثة.

إن انتصار /لحداثة/ في الشعر، وغيره عرفتها مجتمعات الغرب، وهي حداثة لها سياقها التاريخي، وتراكمها، وبالتالي تطورها، وإنتاجها، أما الكثير من حداثةنا العربية: الاجتماعية، والاقتصادية، والأدبية فهي (مجلوبة)، والمشكلة هي في القدرة على /التمثل، والمثاقفة، والإضافة/، وبالتالي إنتاج الجديد، وهذه في الأدب عن نجحت لدى: نزار قباني، وسعيد عقل، وقبلهم السياب، ونازك، وغيرهم؛ حيث استطاعوا الاستفادة من الحداثة الغربية في الشعر.. فأضافوا، وأبدعوا الجديد.. أقول ذلك لأن الكثير من تجارب الحداثة الشعرية كانت تحمل الكثير من التلفيق، والاصطناع الشعري، والتهويم، وبالتالي كان هذا الشعر مقطوعاً عن الحياة، وعن الثقافة الحية، والأصلية لصالح أنواع من (التوظيف التقني) لأدوات، ووسائل مستجلبية من بنيات أخرى، وثقافة أخرى.

لقد حمل الكثير من شعر الشباب ارتباكها اللغوي، والصوري، وضعفه التركيبي، والفني، والبنائي، وقفزه غير المترابط بين فكرة، وأخرى، وموضوع وأخر، ولا رابط في السياق، ووحدة الموضوع. أخيراً أقول: هناك (لحداثة) وهناك (بدعة الحداثة).. هناك اختمارها، ونضجها، وهناك ارتداء زياها، وتقليديها.

لحداثة في مفهومها الغربي عنت /التميز/، والفراة من دون أن تعني /القطيعة النهائية/، والبدء من الصفر.

والحداثة ليست /نهائية أو جازمة/؛ بل هي طور في حركة الثقافة، والفكر يتحاور فيها القديم والجديد.

كل هذا لا يلغي وجود /شعراء شباب/ لهم تجاربهم، وتستحق الإضاءة والتعريف.

مكسيم رودنسون - آخر المستشرقين الكبار

عبد الباقي أحمد خلف



مكسيم رودنسون

إلى إنشاء كراسي للغة العربية في كبار المؤسسات العلمية في الغرب، ورغم اصطباغ تلك المؤسسات بالنزعة الإغريقية في تشكيل الفكر التنويري في أوروبا، فإن كتابات الباحثين المسلمين في الغرب توضع في مكانها اللائق، وينظر إليها بكثير من المصادقية حسب قوله.

رودنسون والاستشراق

استطاع رودنسون أن يساهم في تعديل القراءة التقليدية للاستشراق؛ فهو لم يتلوث بالنزعة الاستعمارية الاستعلائية؛ تلك النزعة التي كانت نابعة من نزعة مركزية أوربية تجاه الشعوب الأخرى؛ حيث تتوخى أهدافاً غير علمية، وكان رودنسون علامة مهمة في مسار الدراسات الفكرية - التاريخية الجادة عن الشرق، بما فيه العالم الإسلامي فهو نموذج مختلف عن الاستشراق؛ حيث شذ عن المسلمات التقليدية في مبادئ الاستشراق الغربي؛ واستطاع أن يقدم قراءة موضوعية غير مغرضة، ويعيد كثيراً من المفاهيم إلى نصابها؛ ليراجع التسليم بها لدى دوائر الغرب الفكرية، ولو أنه تعرض بسبب ذلك لهجوم شديد لم يبال به؛ ربما يعود ذلك في كثير من جوانبه إلى احتكاكه عن قرب بالشرق ومجتمعاته والإسلام وأهله، متمثلاً في بقائه في الجزائر برهة من الزمن، وفي إقامته ببلدان أيضاً؛ حيث استطاع أن يقف على أديان الشرق وثقافات شعوبه عن قرب، ويحتك بهم شخصياً.

وبعد فإن المأمول من المؤسسات العلمية والثقافية إيلاء آثار رودنسون اهتماماً لائقاً بهذا الرجل وأعماله للاستفادة منها، ولتطلع عليها الأجيال من بعد، وينهل منها الباحثون والدارسون، وبذلك يتم تذليل كثير من عقبات التواصل بين الشرق والغرب، ويمد بدلاً منها جسور التواصل والحوار الإنساني.

الهوامش :

- (1) الاستشراق - المعرفة - السلطة - الإنشاء إدوارد سعيد ترجمة كمال أبو ديب الناشر مؤسسة الأبحاث العربية بيروت لبنان صفحة 37/
- (2) الجندي المستعرب - فيصل جلوت - منشورات دار الجديد بيروت 1998
- (3) صحيفة تشرين السورية العدد 197 رجب 1425 هـ 5 أيلول 2004م مقال للكاتبة داود تلحيمي : بعنوان : المؤرخ والعالم الاجتماعي مكسيم رودنسون
- (4) جاذبية الإسلام مكسيم رودنسون ترجمة الياس مرقس الطبعة الأولى 1982م الناشر دار التنوير لبنان - بيروت صفحة 18/
- (5) جاذبية الإسلام صفحة 19 /

يقول عنه صديقه المؤرخ جيرار خوري الذي يعرفه أكثر من ثلاثين عاماً: (كان شخصاً شديد التدقيق والتمحيص كما كان موسوعياً كبيراً)، وكان من ثمرة تعاون جيرار معه حوارات تم نشرها تحت عنوان : (بين الإسلام والغرب).

من أهم مشاريعه مشاركته في مجلة «شؤون فلسطينية» الصادرة في مطلع السبعينيات عن مركز الأبحاث الفلسطيني في بيروت؛ حيث كتب فيها مقالاً طويلاً بعنوان: «إسرائيل واقع استعماري»، وقد نشر المقال لاحقاً ككتاب مستقل مترجم للعربية، تناول رودنسون في مقاله المسألة الفلسطينية بجرأة كبيرة؛ حيث أكد أن إسرائيل واقع استعماري لا محيد من ذلك دون أن تأخذه في الحق لومة لائم، في وقت كانت فرنسا خاضعة لهيمنة الثقافة الصهيونية، فكانت أفكار رودنسون أكثر رواجاً هناك؛ بالإضافة إلى العالم الغربي عامة، كما ساهم رودنسون مع غيره من المستشرقين كجاك بيرك في البحث في الشأن العربي، وخاصة قضية جهاد الشعب الجزائري في سبيل حريته واستقلاله من الاستعمار؛ كما كان عضواً في جماعة البحث والعمل من أجل فلسطين عبر عقد ندوات فكرية ونشر مواضيع تظهر حقيقة الصراع في الشرق.

رودنسون والإسلام: لا تجرد صورة الإسلام عند رودنسون عند الصورة المعهودة في الغرب، بل تتعداها؛ يقول: (إن الإسلام سيكون الآن، وسيصبح أوضح وأدق شيئاً فشيئاً؛ لكنه سيعتل الآن لقرون طويلة بالخصومة الأيديولوجية التي ستفرض وسوف تفرض عليه تشويهاتها المعتادة)(4).

إن الصورة المعتادة تشتمل على تجاوزات على منهج البحث العلمي حين تتسم بالذاتية المفرطة والاعتماد على الاحتمالات الضعيفة لتشوه الصورة الفعلية تشويهاً بالغاً، وما ذلك إلا نتيجة للمقدمات الخاطئة أصلاً؛ إذ إن (كل العالم الإسلامي يبدو لهم كموضوع لدشهة أو فضيحة يمكن باختصار تمييز ثلاثة وجوه لهذا الإدراك عالم الإسلام هو قبل كل شيء بنية سياسية - أيديولوجية معادية؛ لكنه أيضاً حضارة مختلفة ومنطقة اقتصادية غربية)(5)

وقد كرس رودنسون عدداً من كتبه عن الإسلام، وكان من أوائلها كتابه (محمد) الذي صدر عام 1961م ثم (الإسلام والرأسمالية 1966) و(الماركسية والعالم الإسلامي 1972) و(عظمة الإسلام 1980).

أما علاقته بالإسلام فهي علاقة عاطفية حسب توضيحه في كتابه «أوروبا والإسلام» قوله: (كرست سنوات طويلة من عمري لدراسة الإسلام والتاريخ الإسلامي والشعوب الإسلامية، وفي الوقت نفسه كنت شغوفاً بالطريقة التي تعامل بها الشعوب الأوربية الشعوب الإسلامية)، ويستبعد رودنسون تأثير الموقف الغربي للإسلام بالحروب الصليبية وينسب ذلك إلى نتائج منظومة الوعي الغربي بالعرب قبل ذلك بكثير، حيث كانت نتيجة ذلك وضعهم في محل التهديد حين كانت الفتوحات الإسلامية العسكرية قد أقلقت الإمبراطورية الرومانية البيزنطية، وجعلتها تتهاوى تحت حوافر خيل الفاتحين المسلمين، ثم تعقبها مرحلة الأندلس وموقف الكنيسة الذي تمثل السلطة المرجعية للثقافة والفكر، فكان التأثير الكبير لحضارة الإسلام على الفكر الغربي، وعلى رأس ذلك كتابات الفلاسفة المسلمين بعد ترجمتها؛ حيث ولدت مدارس متعددة تهتم بآراءه وفلسفته وآفاقه.

وينفي رودنسون جمود صورة الإسلام في المخيلة الغربية؛ بل يؤكد أنها قابلة للتغيير والتطوير؛ فمن تأثر بالمفاهيم الكنسية إلى محاولات عقلنتها بالفكر العقلاني، ويمثل لذلك بدانتي في (الكوميديا الإلهية) وطريقة تعامله مع الشخصيات الإسلامية.

تعذ المشروع الصهيوني متعارضا مع العقائد الدينية اليهودية، وهو في الوقت نفسه تقفه جماعات يهودية مثل جماعة : (ناطوري كارتا) التي ترفض الاعتراف بدولة إسرائيل كدولة يهودية اعتماداً على عقيدة الإيمان بالشتات كفریضة من الرب ووجوب قبوله ، وحينما جاء هتلر ومارس ضد اليهود المتدينين العنصرية، كان ما فعله تدعيماً للحركة الصهيونية السياسية حسب رأي مكسيم، حين عدّ مشروع هتلر العنصري ضد اليهود الألمان فرصة نادرة لدعم مشروع الحركة الصهيونية وتقويته وتبرير أنشطته.

عمل رودنسون من أجل التقارب بين الشرق والغرب، فقد قصر جهوده العلمية والفكرية للحوار بين الثقافات، وكان من أهم مواقفه: موقفه في 1968م من القضية الفلسطينية وكان أن أنشأ مع المستشرق الفرنسي جاك بيرك مشروعاً فكرياً مشتركاً يتضمن أبحاثاً ونشاطات من أجل فلسطين، وقد سببت له تلك النشاطات كل أنواع الانتقادات والتهديدات وذلك بصفته يهودياً ومعادياً في الوقت نفسه للصهيونية؛ فلم يتخل عن مواقفه ولو قيد شعرة وذلك بحسب له .

(وعندما شارك رودنسون في أيار 1966م في ندوة سياسية نظمها الاتحاد العام لطلبة فلسطين في إحدى قاعات العاصمة الفرنسية باريس في ذكرى «النجبة» مؤكداً مواقفه للحل العادل للمسألة الفلسطينية والمناهضة للصهيونية، تعرض هو وآخرون شاركوا في هذه الندوة التي غطت وقائعها بعض الصحف الفرنسية لحملة صحافية وإعلامية شرسة من قبل الأوساط الصهيونية وأنصارها التي وصفته فيما وصفته من تعابير مقدّعة باليهودي الكاره لنفسه)(3)

أعماله: يبدو أن رودنسون اجتهد في الكتابة عن الإسلام منذ باكورة أعماله الفكرية: (جاذبية الإسلام)؛ حيث تتبّع فيه اهتمامه الذهنية الغربية بعالم الإسلام، ليؤكد لنا أن ذلك الاهتمام إنما كان حاجة داخلية إلى هذا العالم عبر سياق المعارك الفكرية والسياسية التي عاشها الغرب الأوربي.

ساهمت كتابات رودنسون ومؤلفاته بجهود كبيرة في تغيير الكثير من النظرات الخاطئة والمضلة للغرب إلى تاريخ الإسلام وكيانه، ولكنها تركت للأسف بعيداً عن متناول الأيدي في اللغات التي كتبت بها، ونجد هنا من واجب المؤسسات الثقافية والمراكز العلمية المبادرة إلى إعادة إنتاج هذه الأعمال بترجمتها ونشرها وتسليط الضوء عليها؛ لأن ما تركه يساهم وبقوة في بيان حقائق بقيت مجهولة أو مشوهة لقرون عديدة في ظروف تتصارع فيها الأفكار، وتتناحر فيها المبادئ والأيديولوجيات، ولعل من أكثر ضحايا تلك المعارك للحقيقة؛ فلاد من الانتصار للحق والعدل والإنسانية، لينفض الباطل والتزييف والتشويه، حتى قيل: إن رودنسون ساهم في تعديل القراءة الطائفية للإسلام.

رودنسون والقضية الفلسطينية:

كان رودنسون يعمل من أجل التقارب بين ضفتي المتوسط قبل كل شيء من أجل قبول التعددية وحوار الثقافات؛ أما موقفه من قضية فلسطين فأتسم بالإنسانية وعدم قبول الضيم والاحتلال الجائر الذي وقع على شعب فلسطين، وتأمّر الدول الكبرى على ذلك، وكان من ثمار موقفه هذا إنشاء مجموعة من الأبحاث والأعمال من أجل فلسطين بالاشتراك مع المستشرق الفرنسي جاك بيرك.

كان رودنسون إذا اتخذ موقفاً يأخذ في اعتباره جميع الاحتياطات اللازمة، حتى لا يتم أي خدش للحقيقة العلمية، كما كان يحذر كثيراً جرح الآخرين؛

حينما سئل مكسيم رودنسون /في مقابلة لإحدى الفضائيات/عن رأيه في استنتاجات المفكر أدوارد سعيد في كتابه الموسوعة «الاستشراق»، وخلاصة ما توصل إليه المؤلف من بيان نوايا كثير من المستشرقين حول مد الدوائر الغربية بمعلومات تخدم النشاطات الاستعمارية: «فالشرق ليس لصيقاً بأوروبا وحسب؛ بل إنه كذلك موضع أعظم مستعمرات أوروبا وأغناها؛ ومصدر حضاراتها ولغاتها ومنافسها الثقافي وأحد صورها الأكثر عمقا»(1) أجاب المفكر الكبير: لا يمكن تعميم ذلك؛ إذ يظل الاستشراق الألماني بمنأى عن هذا الحكم؛ لأن الألمان لم يحتلوا الشرق ولاسيما أنهم أساتذتنا في هذا المجال».

يبدو أن شغف رودنسون بالشرق كان بعيداً كل البعد عن هذه النوايا، وذلك لاحتكاكه بشعوبه وإقامته سنوات كانت من أجمل مراحل عمره المديد، أمضاها في أحد أهم مدن الشرق وقلعه الثقافية .

إلا أن المستشرق الكبير مكسيم رودنسون لم يحظ بمكانته اللائقة في ميدان الثقافة العربية والإسلامية رغم ما عرف عنه من مناصرة للقضايا العربية والإسلامية العادلة كقضية فلسطين، حتى لقب «صديق العرب والإسلام» يوماً لذلك أسماء بواكير كتبه : محمد - جاذبية الإسلام

تبدأ مسيرته مع الشرق عام 1941 من شهر أيار، حين كان يعمل مكسيم أستاذاً في لبنان للغة الفرنسية، وحين احتلال الإنكليز للعراق في ذلك الوقت، يفاجأ بدعوة غربية له من قبل طلابه، وهي أن يقوم بتدريبهم عسكرياً لأنهم حضروا أنفسهم للانضمام لصفوف المجاهدين في العراق، وحين يدخل الإنكليز صيدا يجبر على مغادرتها(2).

أقام مكسيم سبع سنوات في صيدا وبيروت، كما أقام في القاهرة ودمشق باحثاً ومنقلاً، فقد كان جندياً في الجيش الفرنسي بلبنان، ثم مدرساً بصيدا وبيروت، ليلتقي بالمتقنين العرب والمفكرين الذين كانوا يفتدون إلى بيروت، ثم ينتقل إلى فرنسا عام 1947 ليعمل في المكتبة الوطنية في دائرة المخطوطات العربية، ثم ينتقل للعمل في التدريس في معهد الدراسات العليا في اللغات في باريس، وفي هذه الفترة لم ينقطع عن أبحاثه الخاصة التي ترجمت فيما بعد ككتابه (محمد 1961) و(الإسلام والرأسمالية 1966)

عاصرت طفولة مكسيم رودنسون حقبة مكتظة بالحوادث والحروب في تاريخ أوروبا المعاصر؛ فقد هاجرت عائلته اليهودية من روسيا إلى فرنسا؛ وتعرضت العائلة النازحة إبان الحرب العالمية الثانية من للاعتقال ودخول معسكرات النازية بسبب من أصول الوالدين الشيوعية واليهودية في آن معا.

ولد سنة 1915م، وانتمى إلى الحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1937م، وبقي عضواً نشيطاً فيه إلى أن ناهز الثلاثين من عمره لكنه لم يطل به ذلك؛ فقد غزت القوات السوفيتية المجر 1956م لضرب حركة التمرد القومية هناك، مما جعل مكسيم ينأى بنفسه عن الحزب إلى غير عودة، فاستبعد منه سنة 1958م ويبدو أنه بسبب من أصله اليهودي ربما اهتم بقضايا الشرق اهتماماً كبيراً بل واختص في مجال الاستشراق ودراسة اللغات الشرقية ليصبح أستاذاً في اللغة الصومالية الأمهرية .

مواقفه من قضايا الشرق :

كان لرودنسون مواقف مميزة من قضايا الشرق وعلى رأسها قضية فلسطين؛ حيث يروى أن والديه اليساريين كانا مناهضين للحركة الصهيونية التي كانت تلقت معارضة شديدة في المجتمع اليهودي في أوروبا الغربية في بداية القرن العشرين لأسباب مختلفة؛ منها انتشار الفكر اليساري والناحية الإنسانية والعقيدة اليهودية، التي في الأساس

حول التجربة الإبداعية القصصية

◉ عمران عز الدين أحمد

الفكرية والسياسية بين أبطال أعماله، برؤية استشرافية متبصرة، تنصت في معالجة الخلل الذي يحول دون التطور، واللاحق بركب الأمم المتحضرة. على أن هذا الأمر، لا يعني إطلاقاً بأن القصصية قد حصر قلمه الإبداعي في تلك الخانة، لمعالجة مواضيع حياتية وسياسية وانتمائية مؤرقة، كالتي جاء ذكرها في ما تقدم من روايات، على العكس تماماً، فقد جود ونوع في عوالمه الروائية ما أمكنه إلى ذلك من سبيل، ففي روايته «الجنية 2006» مثلاً، الزاخرة بأسئلة عن عالم الجن، يمارس القصصية تجريباً مختلفاً، إذ يوسم روايته بالحكاية كما جاء في الاستهلال، لأنها وبحسب زعمه/ تجربته تريحه من تغفرت النقاد ومنتقد المتقربين، ويذيلها كذلك بمراجع ومعلومات حول ما جاء في المتن الروائي، فالسارد ضاري ضرغام الضبع، يتعرف إلى فتاة مغربية، اختار لها اسماً يحمل الكثير من الرمزية والدلالات، هو عائشة الزهراء، أو عائشة قنديش كما جاء في المتن أيضاً، فيتزوجها، ثم يكتشف بعد ذلك بأنها جنية، يطلقها بعد ذلك، لكنها تنترك أثراً ما وراءها، ينعكس في الشعاع الذي يجلل عيون أبناء السارد!

أما غازي الشاعر فقد أحدث نقلة نوعية في صميم البيت الشعري السعودي، العمودي على الأخص، هذا لا يعني بأنه لم يكن شاعراً تفعيلياً، ويمكن القول إنه كتب شعر التفعيلة بالإبداع ذاته الذي كتب به شعر العمود؛ حيث كانت مفرداته، في العمود وكذلك التفعيلة، منتقاة بعناية فائقة، ذات جرس موسيقي خلاب:

«ضرب من العشق لا درب من الحجر
هذا الذي طار بالواحات للجزر».

يقول عنه الناقد المصير «جابر عصفور» في مقالة له بعنوان: علامة الإحياء الشعري، ونشرت في جريدة الحياة/ يوم الاثنين 16 أغسطس 2010:

«غازي القصصية هو واحد من أصحاب الشعر الصافي والموهبة الأدبية الأصيلة، وكان متعدد الاهتمامات الأدبية؛ إذ كتب الرواية والشعر، وكان فيهما نمطاً فريداً بذاته، وظل يجمع بين الحرص على التقاليد الرصينة، وستظل روايته «شقة الحربة» فريدة في بابها من حيث هي رواية سيرة ذاتية تتحدث عن شبابه، وترصد التيارات القومية التي تأثر بها في مختلف أرجاء الوطن العربي وصعود القومية العربية وسط تيارات متصارعة».

كما أنه لم يكن معنياً بالهم السعودي وحده؛ بل كان في شعره نفحة أممية، ارتقت بشعره إلى مصاف أشعار الكبار من الشعراء، ففي ديوانه «الحمى» نقرأ هذا البيت الشعري الرائع، الذي كتبه في بيروت:

بيروت.. ويحك أين السحر والطيب
وأين حسنٌ على الشيطان مسكوب..؟

«صوت من الخليج» و«أشعار من جزائر اللؤلؤ» و«سعادة السفير» و«دنسكو» و«الأسئلة الكبرى» و«حياة في الإدارة»، وغيرها الكثير من الإبداعات التي كتبها القصصية، في مشغله الأدبي والثقافي والفكري، والتي تشكلت لمراحل طويلة قادمة زادت معرفياً وثقافياً للقارئ والمكتبة الأدبية في الآن ذاته.



د.غازي القصصية

العمل، جللت أحداث المتن، بلغة ساخرة موجعة ومعرية، فضلاً عن نقدها اللاذع لمفاصل الحياة في الواقع العربي؛ إذ إن أبطال روايته السبعة، مختلفون أيضاً في رؤاهم وفكرهم وتمثلاتهم، وكل منهم يعبر بطريقته الخاصة على محبته للمذيعات التلفزيونية، فيعملون على كسب ودها، ويطمعون في الظفر بها، هذه السيدة هي الأرض والوطن على حد سواء، وتلك الشخصيات هي الأفكار المختلفة والمتصارعة، التي تستميت جاهدة، لتكون أفكارها لأكثر تكسباً، بحرصها المزعوم على وجود مجتمع بأفكار كتلك. لكن الدهاء الروائي للقصصية لا يدعن لخواتيم مملّة ومموجة كهذه، التي أثبت الواقع المعاش بلادتها وبلاحتها، فيقتص من ذلك الواقع، بخاتمة روائية مبهرة، نابعة من عدم تيقنه بتلك الشعارات الواهية، الأشبه بالمخدرات والكحول، في وقعها وخطورتها وسموميتها ولا شرعيتها، فلا يعجز القصصية في البحث عن وجود البديل، حتى ولو كان من نقطة الصفر؛ إذ يقول في خاتمة الرواية: «أوضح تقرير الطبيب الشرعي أن الرجال السبعة ماتوا غرقاً، وقد تبين من التحليل أنهم تعاطوا كميات كبيرة من المخدرات والكحول، أما المرأة، التي وجدت على الشاطئ عارية، فلم يتضح للطبيب الشرعي بعد سبب موتها، ولم يعثر في دمه على أي آثار لمخدرات أو كحول، ولم تظهر بجسمها أي إصابات، كما ظهر من الفحص أنها عذراء».

نستنتج من قراءتنا السريعة لتلك الروايات، الدال والمدلول في التجربة القصصية، الفعل الكتابي ورد الفعل الإبداعي الذي تمخض عنه، فالرجل كان معنياً، بدرجة وأخرى، بهاجس التغيير والإصلاح، وشرح وجهات النظر المختلفة، بوضعها على طاولة النقاش والمفاوضات؛ إذ يقوم بعرض شخصياته على الورق، تلك الشخصيات المستمدة من الواقع غالباً، المفعممة والمدججة بالمعلومات والتفاصيل، ويشرح الصراع الدائر بينها، فيتطرق بحنكة للاختلافات

كانت هذه الرواية فتحاً بكل المقاييس، أسلوباً وموضوعاً، إذ سلطت الضوء على التجربة الروائية الخليجية، والسعودية على وجه التحديد، وبات القارئ العربي بعد هذه الرواية يقرأ أعمالاً أو روايات لكتاب سعوديين على درجة عالية من الإتقان والإبهار الروائيين، شكلاً ومضموناً، طرماً وفكراً، وجرأة لم يسبق لها مثيل في اختراق التابوهات التي تحد من حرية الفكر والتعبير على حد سواء.

أما في روايته «العصفورية 1996»، التي قال عنها الناقد السعودي عبد الله الغدامي إنها رواية ما بعد الحداثة، ففي هذه الرواية يتابع القصصية سلسلة أعماله الروائية، المحرصة على اجتثاث التخلف من جذوره، فضلاً عن محاربة التمييز والتسطيح والتسخيف، بالسخرية المعروفة عنه، فيضرب إزميله/قلمه العميق في عمق أوردة الواقع العربي المتختر، إذ يسرد، وهو البروفسور، على طبيب نفساني، غب أن استقر به المقام في العصفورية، هذه الدار التي تختص بمعالجة مرضى نفسيين، فيسرد على مسامع ذلك الطبيب، ما آلت إليه الحال في الوطن العربي، بطريقة أقرب للكوميديا السوداء، وتكون النتيجة جنون الطبيب ذاته بعد استماعه لتلك القصص الموجعة والطريفة على حد سواء!

والسخرية حاضرة كذلك في روايته «أبو شلاخ البرمائي 2002»، التي تتوزع على سبعة فصول، وهي: (بدايات النبوغ - مرحلة الصمود والتصدي - وديعة روزفلت - إمبراطورية «ام سبعة» التجارية - نساوين في حياتي - رحلتي الغربية حول العالم - الجوانب الكثيرة للقمر) - حيث لا تخلو من تهكم مرير من بعض الزعماء والقادة في الوطن العربي، الذين يدعون المعرفة، ويوهمون الناس بقدراتهم الخارقة، وتبلغ السخرية ذروتها عندما يكون العربي تحت وطأة أوهام، هي الذروة في قائمة بطولاته وأمجاده!

ولم تكن روايته «سبعة 2003» بقليلة حظ عن الأخريات، فالسخرية التي كتبت بها

الحديث عن تجربة الدكتور غازي القصصية (1940 - 2010م) الإبداعية يجب أن يكون حديثاً منصفاً وحقيقياً، لا تلغيم فيه أو تشفير، فالقصصية يقيناً لم يكن رجلاً عادياً، بل كان مفكراً كبيراً، وأديباً ساخراً بكل ما لهذه الكلمة من معنى، شأنه في ذلك شأن كبار الكتاب الذين أنجبتهم المعمورة، أو الساحة الأدبية، العربية على الأقل، لذا، يتوجب علينا أن ننصف هذا الرجل وأدبه، وهذه من أبسط حقوقه علينا في هذه المرحلة، ناهيك عن المراحل القادمة، وعلينا العمل بها كما أرى بكل أمانة، دون تحريف أو بتر أو انتقاص من قيمته. لقد زج بالرجل في الكثير من المعارك الشخصية، والسجلات البيزنطية العقيمة، فكفر واتهم بالردة والمروق على تعاليم الدين الحنيف، لأنه كان ظاهرة ومجتهداً ومثيراً للأسئلة، ولأن الاجتهاد وكما هو معلوم فعل إنساني، خاصة عندما تتوفر الذهنية والعقلية القادرتين على هذا الاجتهاد، لم يكن يعبر تلك العواصف والزواجع اهتماماً على نحو ما، أما تلك التي استوقفتها، فحلها بإنصاف، وأولها بدراية العارف، وكان أن انتصر فيها جميعاً، على المتربصين به وبإبداعه، كان مجدداً في فنون الكتابة الإبداعية والأدبية، ديدنه الإبداع، وهاجسه التجريب، قدوة لأجيال جاءت بعده، مُنعت كتبه من التداول والقراءة لأنها كانت تنطوي على رؤية تشريحية صادمة، لم تكن ترقق ربما لبعض من المدعين والمتطفلين، ممن نصبوا من أنفسهم - على حد تعبير الروائي الجزائري واسيني الأعرج - حراساً للنوايا، وحراساً على ما يجب أن يقال، وما لا يجب أو يكتب! مبدع كتاب «العزوة الثقافي» لم يستغل منصبه أو نفوذه يوماً في إطلاق سراح كتبه، كان يقول كلمته ويمضي، لأنه كان رائداً من رواد الأدب العربي الحديث، وكان مجدداً كذلك في أركان وعناصر تلك الآداب والفنون، ولأنه كان مرتكباً لأكثر من جنس أدبي: (شاعر، روائي، مترجم، قاص، مسرحي، وناقد)، ومزاولاً لأكثر من نشاط سياسي وإداري، قام بمزج حيٍّ وفاعل، عن سبق إبداع وتجريب، باستيراد وتصدير أدبيات مهامه الفنية والعملية والأدبية، خدمة لمادته الإبداعية المتفردة، ناهيك عن العملية، بتفانٍ قل نظيره.

نظرة سريعة على بعض

أعماله ونتاجاته الإبداعية

سنحاول في هذه الفسحة، القيام بمقاربة تلخيصية سريعة، لبعض أعماله الروائية، وجوانب الإبداع والتجديد في شعره. ففي روايته «شقة الحربة 1994» عمله الروائي الأول، والأهم في قائمة أعماله الروائية، بحسب الروائي والقاص الكويتي طالب الرفاعي، ذلك العمل الذي أثار ضجة في الساحة الأدبية على امتداد الوطن العربي، لما توافر عليه من جرأة في الطرح المذكراتي، ناهيك عن انسيابية في تتالي أو تتابع صورته، وجملة الواخزة العميقة، والدالة على عمق المعاناة التي يتعرض لها المثقف العربي، الذي يهاجر من بلده إلى بلد آخر، ليتعرف من ثم على آخرين، يعيشون في شقة واحدة، تصل فيها الحربة إلى ذروتها، إزاء رؤى مختلفة، سياسية وفكرية وعقائدية! لقد

معياري للمعيار

محمد خالد رمضان

ودلالاتها ومفاهيمها، واستعان بآبن عجيبة على ذلك؛ إذ قال المذكور آنفاً في كتابه (إيقاظ الهمم): إن للتصوف ألفي حد أو تعريف ترجع كلها إلى صدق التوجه نحو الله. ص 214 من كتاب الناقد اليوسف.

ويقول الناقد أيضاً: (إن الصوفية تدير ظهرها للحركات الاجتماعية والمعيشية)، وبرأيي إن هذا القول غير دقيق، بل أرى الصوفية نقيض ذلك، وهي من الحركات الاجتماعية الهامة في التاريخ الإسلامي، وهي من المظاهر الاجتماعية الكبرى التي شاركت على السائد السياسي والديني، والأمثلة كثيرة من الشعر الصوفي وفي حياة المتصوفة، وهذا المشترك بين هيجل وآبن عربي ما هو؟ هو فهم واحد للقضايا بشكلها الديالكتيكي.. ومثلما قلت أيها الناقد في ص 17 من كتابك: (فإن الصوفية تجعل العالم أخائياً بدلاً من كونه عدائياً).

تعريف الصوفية يعني: دمج روح الإنسان بروح الكون. هذا صحيح، ولكن لفظ الوجود هنا أصح - أي بروح الوجود..

ومن جهة النفري، فإن الناقد يقول عن نثره: بأنه يرقى إلى الشعر، وأقول: بل هذا النثر هو شعر خالص.. مما في كتابه (مواقف) وليس كما تقول - يرقى إلى الشعر - (آخر الأهداف هو السلام) عند الصوفي والوثام والقضاء على خلاف.. و(السلام هو الله) بل أنت تقول في ص 222: إن ابن سبعين قال للناس: (اكفروا بحقيقة عصركم)؛ أي اكفروا بالمال والسلاح، ما معنى هذا؟ معناه هبو إلى مساواة حقيقية بينكم.

وأخذ على الناقد قضيتين هما:

1 - (وقد يحالفني السداد) وهي جملة فيها تكرار كثير، وهي جملة أعادها حوالي 20 مرة.
2 - (وفي مذهبي) أيضاً جملة أعادها كثيراً وكثيراً جداً.

ثم لم يربط الكاتب الكتب التي ذكرها بصفحاتها، ولم يذكر المصادر والمراجع في آخر الكتاب.

هذا.. وما أوردته في قراءتي لكتاب الأستاذ يوسف سامي اليوسف (الأسلوب والأدب والقيمة والقيمة) لا أعده حكم قيمة للكتاب المذكور، ولا أعده يندرج في مجالات نقد النقد الأدبي؛ بل هي قراءة ذوقية للعمل.

الكتاب الذي بين أيدينا من الكتب الهامة في مجالات النقد الأدبي، أشد على يدي الزميل يوسف اليوسف الناقد القدير، وأتمنى له أن يتحفنا بالمزيد.



كتاب الأسلوب والأدب والقيمة

وأقول أيضاً، إن الحكاية الشعبية هي واحدة من أصول التاريخية، وحكم القيمة الذي أوردته عن روايات جورج زيدان صحيح؛ أما رأيي في أن الحرب والسلام رواية تولستوي أهم من الإلياذة والإلياذة ص 123 وما بعدها، فتلك رواية وهذه ملحمة أسطورية، ولو قارن الزميل الناقد بين الرواية التاريخية والرواية الوجودية والرواية الجديدة لكان أفضل، ومن وجهة نظري فإن الرواية التاريخية أقل قيمة من أنواع الروايات الأخرى.

وأعتقد أن الناقد أعطى الرواية التاريخية متسعاً وفسحة أوسع من البحوث الأخرى.. أما قضية الكوميديا الإلهية لدانتي، والمعارج والرسالات والغفرانات، وتقويمه لعظمة دانتي وشاعريته وروحه الوثابة، فإنه يؤكد أن دانتي الجبيري قد قرأ المعراج، وقرأ رسالة الغفران للمعري، وأنه تأثر كثيراً بمثل تلك الحالات، ولكنني أقول: إن الكوميديا خلق وإبداع حاصلين، ولست مع القول: بأن دانتي تأثر بالمعراج ورسالة الغفران، وليس هذا في معرض التقليل من أهميتها، ولكنني لا أرى في الكوميديا مظاهر التأثر؛ بل أرى مظاهر التشابه.. وكذلك دانتي من طفولة وحلم وجمال ووجد.

تنطرق الناقد إلى قضايا الشعر والصوفية، وكثرة الطرق الصوفية من الوجد والعشق والهيام والوحدة والوصال والاتحاد إلى كثرة الطرق والرؤى والحلم وغير ذلك، وعبر عن رأيه بقول: إن الشعر الحديث لا يستطيع التوافق مع الصوفية.. أنا لا أستطيع مجاراته في ذلك؛ بل أقول: إن الشعر الحديث - وخاصة حدثا القصيدة الحرة - استطاع التعبير عن كل ما تحمله الصوفية من معان ورؤى وأحلام وجماليات وطرق، والشواهد كثيرة لدى شعراء كثيرين، ومنهم أدونيس وغيره.

وكذلك عرج الناقد في آخر كتابه على تساؤل هام بشأن الصوفية، وما هي الصوفية ومعانيها



يوسف سامي اليوسف

ابن عربي :- (بأن علة الكتابة والتفنن بوجه عام هي رغبة النفس في أن تضع محتوياتها أمامها لتنظر إلى صورة ذاتها، كما تنظر إلى المرأة) وهذا الرأي يعتمد على التحليل الصوفي لفعل الكتابة.

وعلة الكتابة عند الناقد اليوسف هي: (أن النفس ترغب في أن تتجلى لذاتها أمام ذاتها). وأقول: إن هناك عللاً كثيرة لدوافع الكتابة أكثر مما تحصى، منها: 1 - رغبة النفس في أن تتجلى بذاتها للآخر، 2 - رغبة النفس في أن تظهر الآخر لنفسها، وغير ذلك.. وأعتقد أن رغبة النفس تتجلى بذاتها أمام الآخر، هو أهم من تجليها لذاتها أمام ذاتها.

حول سؤال القيمة، أتى ذلك الناقد بمثالين، هما معلقتا امرئ القيس وطرفة بن العبد ص 80 - 81 لأن فيها الوجدان ومدى اتساعه، وكذلك تجلى في أدب دوستويفسكي وشكسبير، وأقول في هذا أيضاً، بدا في شعر ميشال طراد وغيره.

وبرأيه: (كل أدب لا يصدر عن خلق نبيل لا يعول عليه) ص 83، أرى في هذا الرأي مغالاة، وأقول: أين يذهب إذن أدب أبي نواس وبودليير وهو جوق؟!

ورأيه حول معيار الشعر هو: 1 - في النشوة والطرب، 2 - في الصدق.. فأنا لست من رأيه كلياً في ذلك، لأن ثمة معايير أخرى كثيرة.. ص 96. أما حول رأيه في وصف الأدب الواقعي بالفجاجة، فأنا معه، وإنه أسلوب هزيل، وخاصة في الرواية.. جاء ذلك في ص 98 - 99، وهنا يتحدث عن قصيدة آلان بو الشهيرة: الغراب، وقضية الاستلاب والغربة والموت.

وحول أهم المعايير في الأدب، جاء في الصفحة 112 من الكتاب، إن أهمها:

- 1 - عرض قضايا البشرية الكبرى كالتشيؤ والاعتراب.
- 2 - الحب والمرارة والعزلة.
- 3 - الحب وموضوعاته.
- 4 - النزعة الإنسانية والتشاؤم.
- 5 - أزمة المعرفة عند المعري.

أتى الناقد بأمثلة من الروائيين والشعراء مثل ديكنز والمنتبي في ص 127 - 119.

أما حول قضية الرواية التاريخية، فقد أورد اليوسف: أن أصول الرواية التاريخية تتجلى في الرواية الشعبية.

برأيي لا توجد روايات شعبية؛ بل توجد سير شعبية، وهو المتعارف عليه بين الناس..

صدر عن وزارة الثقافة كتاب (الأسلوب والأدب والقيمة) للزميل الناقد يوسف سامي اليوسف، والكتاب دراسات لبعض زوايا الأدب، ويضم بين دفتيه مئتين وأربع عشرة صفحة من القطع الكبير، وقد قسمه الناقد إلى ما يشبه العنوانين، ومهد له بكلمة توضيحية كاملة، بين فيها منهجه النقدي، ثم أتبع التمهيد بدراسات ثلاث، هي:

- الشعر ومزاياه العالية، - تأويل الشعر، - روافد النقد الأدبي.. ثم أتبع ذلك بعنوان الأسلوب والأدب والقيمة، وتحت هذا العنوان أورد تسع مقالات، هي:

أ - القسم الأول، ب - القسم الثاني، ج - النص والمحتوى، د - قيمة الرواية التاريخية، هـ - الإشارات، و - الكوميديا الإلهية، ز - هاملت أو نقاء الضمير، ح - الشعر والصوفية، ط - ماهية الصوفية.

من المعروف أن هناك مناهج دراسية ونقدية تطورت عبر تاريخ الأدب، واستقرت لدى العاملين في هذا المجال، منها:

- المنهج التحليلي، - المنهج التفكيكي - المنهج الديالكتيكي العلمي، - المنهج الجمالي التأويلي التدقيقي.. وغير ذلك من المناهج. ولقد اتخذ الناقد المنهج الجمالي البحث في رؤيته النقدية، وهو الذي يعتمد على التدقيق والوجدان.

ويعتمد على الوجدان والباطن ونظرية الصوفية حول الخلق والخيال.

وكان المنهج الصوفي - الجمالي هو منهجه الوحيد في تناول القضايا التي تناولها.

كتاب الناقد كتاب مهم في موضوعاته، ولن أتناول مواضيعه التي بحثها، بشكل قراءة كل موضوع على حدة، بل سأتناولها كلها، وأركز على بعض القضايا التي أنتقيها للتوسع فيها.

يتناول كتاب اليوسف ثلاثة مواضيع بشكل رئيسي، هي:

1 - الشعر والمسرح الشعري، يركز عليه في مقالات عدة، 2 - الروايات، 3 - الصوفية.. ويتناولها في مقالين رئيسيين، هما: الأول: الشعر والصوفية، والآخر: ماهية الصوفية، ويتناول قضايا غير رئيسية في قضايا عدة، منها:

- موقفه من الأدب العربي، - موقفه من الحدث، - التأكيد على كتب معينة، - التركيز على شعراء معينين، كالمنتبي وامرئ القيس وطرفة.. وكل شعراء الصوفية.

وسأبدأ ببعض القضايا غير الرئيسية من كتابه.

فقد جاء في ص 96 من الكتاب، إن الوهن حل بالأدب العربي خلال الثلاثين سنة الماضية نتيجة عوامل هي: 1 - إن التيار الواقعي التصق بالحياة مباشرة، 2 - إن تيار الحدث الشعري قد فهم التخيل بأنه يحدد العبث باللغة، 3 - إدارة الظهر للخيال.

لست مع هذا الرأي؛ بل أعد الأدب العربي - وخاصة القصيدة الحرة - قد تطور إلى أبعاد عالية، وكذلك الرؤية والشواهد أكثر مما تحصى. وحول الكتابة وعلتها، يقول الناقد في ص 73 من كتابه، وذلك استناداً إلى - رأي المتصوف

قصة كرت ملك أباريت للكاتب الأوجاريتي ايل ملك

علي أبو عساف

والمريض والمؤونة الضرورية للمدينة. وبالاعتماد على هذه الإجراءات، ظن الباحثون أن كرت كان عادلاً دوماً ومستقيماً في حكمه، ومع ذلك حلت به الفاجعة. سار الجيش نحو آدم التي هي كثيرة المياه، حقولها خصبة، وسفوح هضابها تغطيها الأشجار، وتعمل النساء على البيادر في جني المحصول، وأخريات يجلبن الماء من الينابيع والأبار، وفي هذا وصف لبيئة آدم، وهو يتطابق مع منطقة ادوم في شرقي الأردن، ولهذا السبب يرى عدد من الباحثين أن آدم هي ادوم المعروفة.

حط الجيش رحاله بالقرب منها ولم يهاجمها؛ فالضجة التي أحدثها الجيش ومعداته وتضييق الخناق على البشر والطرش والفرع الذي انتابهم، أحدث الضجر في نفس ملكها قبل، فأرسل يستوضح الأمر، وفي هذا دليل على أن كرت جاء طالباً عروسه، ولم يكن غرضه القتال؛ فهو يطمح إلى أميرة من بيت ملك كيبته. وفي أثناء الحوار يتكرر في الملحمة وصف للأحوال التي دفعت بكرت على سلوك هذا الطريق؛ فهو يرغب أولاً بالأولاد؛ لأنه حرم منهم، وهو الذي يملك الذهب والفضة والجاه والسلطة ويرغب أن يكون له وريث لعرشه. فجاء آدم ليتزوج بميثة حري. لأن الرب ايل وعده بها في أثناء الحلم، إذن بمشيئة ايل عمل هذا وطلب الزواج بميثة.

وأخيراً تزوج كرت بميثة وأنجبت له أبناء وبنات، وفي غمرة فرحه وسعاده، نسي النذور التي وعد بها الآلهة التي ساعدته في الوصول إلى غايته. فهو كان قد نذر إلى ايل وبعل وأشهره ربة صيدا. التي نبهته إلى أنه لم يف بنذره، وهددته إذا تمنع عن تقديم النذور سوف تتخلى هي والأرباب عنه. وتستطيع تغفص حياته وعرقلة مساره العادي، وتكرر وتعدد المصائب التي قد تقع على رأسه، هذا يكشف عن مرض النسيان في طبيعة الإنسان ودور الأرباب في ذلك وإنذاره بعواقبه.

وفاء النذور:

ذعر فأعد الوليمة الفاخرة ودعى إليها الضباط والوزراء؛ أي رجال الدولة والبلاط وأهل حبرن والأرباب. ولما دعتهم زوجه ميثة حري لتناول الطعام وفاء للنذر؛ ذكرتهم بأن يقفوا دوماً إلى جانبهم؛ فهم مؤمنون مطيعون يستحقون عطف الأرباب ورضاهم.

النهاية:

مرض كرت وهو الذي أصبح طاعناً في السن، فتجمع أولاده وبناته حوله، وبكوا بحضرته وناحوا وتصوروا المصير الذي ينتظرهم لو مات كرت، فهم سيطردون من بيته وأملاكه، وتؤول ممتلكاته إلى الغريباء.

وهنا احتار الباحثون لماذا هذا التشاؤم وقد وفي كرت بنذوره؟! لقد أصبح كرت رجلاً عجوزاً وسيموت؛ وبموته يتقاتل الورثة على الحكم؛ فتفقد العائلة الشيء الكثير، وربما في هذه الأثناء تخلت الأرباب عن الأسرة، وربما تذكروا الفاجعة التي حلت بأبيهم في أول عمره فدب الخوف في قلوبهم، وهذا هو ابنه البكر، يصب بإيعاز من الخصي، يرغب أن يجلس مكان أبيه على العرش؛ لأن كرت مرض وشاخ، وربما أيضاً خرفان، فلغنه كرت وطلب من الأرباب أن تلغنه وقد حصل مثل هذا في كثير من بيوت ملوك المشرق.

بدأت القصة في وصف المحنة التي تعرض لها كرت، وانتهت أيضاً في تأمر ولده عليه، وكل الأحوال التي وقعت كانت بمشيئة الأرباب، قدروا له أن لايرزق بالأولاد، ثم نال رضاهم، فأرشدوه إلى الطريق الذي يوصله إلى غايته، ولما تنكر لهم أو تغافل عن رضاهم والوفاء بنذوره، نبه وهدد، وفي أثناء شيخوخته سلطوا ولده عليه وفي هذا إشارة واضحة إلى عمق الإيمان عند الناس بحتمية الأقدار.

راجع الأسبوع الأدبي العدد 1304 تاريخ
2012/7/14 مع الهوامش.

أن مكروها أصاب أباه فطمأنها الأخ، وقال لها هو سقيم مريض فقط عندها حضرت، ولما وقعت في حضان أبيها بكت وناحت؛ غمرتنا بالسرور والفرح ابق حيا! ثم تضرعت إلى الرب ايل، وسألته هل سيموت نجلك يا ايل؟ وبما أنه ابن الرب هل تموت الآلهة؟ وتتابع تعداد المناقب، وتقول: ستنوح عليه النساء، ويتذكرن أفعاله، وهو القوي، وهو بالنسبة إليهم (صرري) أي صرتي، والصرة كما تعلمون هي في غالب الأحيان صرة الدراهم، وهنا تعني كنزي (يا مالي). وبعد أن تناولوا الطعام تذكروا كيف كانت الأرض تخضر وتتدفق الينابيع، ويجلب الرب بعل المطر والخيرات، فيفرح الفلاحون، ويرفعون أيديهم إلى السماء، ويبتهلون إلى ايل وبعل. وفي هذه إشارة إلى سني الجفاف وردة فعل الناس حيالها. اهتم الرب ايل بمرض كرت، فطلب من الأرباب معالجته، فلم يفلحوا، فاهتم هو شخصياً، وأرسل شعته وهي ربة المداواة لبيت كرت حتى تعالجه، فأسرت تقطع الطريق كالطيور، ولما وصلت وأمست بشعر رأسه، ورفعته وغسلته وأطعمته، انتعش وصاح بزوجته أن تطبخ خروفاً ففعلت، ولما أكل كرت تعافى وعاد وجلس على العرش.

الفصل الأخير في السرد:

يظهر من سياق الأحداث أن يَصِب بن كرت قد أدار دفة الحكم في أثناء مرض أبيه، فلما عاد كرت وجلس على العرش، بقي أيضاً يصب في القصر فأوعز إليه كاتم أسراراه: أدخل على أبيك وكلمه، وكرر القول، وقل له اصغ إلي بأذنيك؛ أنت أويت الفارين، وحرمت الأراذل حقوقهن، ولم تساعد اليتامى، وأنت الآن مريض تنازل عن العرش، وأنا سأكون مكانك. استجاب يصب فدخل على أبيه وكرر ما قاله له الجنجي كاتم سره.

أجاب كرت: ويثبر حرن راسك؛ أي أن كرت لعن ابنه وسيهلكه حرن، وحرن هو الملازم لكرت الملتصق به؛ أي وزيره؛ وانتهت القصة بهذه اللعنة.

فكرة القصة:

تساءل الباحثون عن الفكرة التي تطرحها هذه القصة، وعن القصد منها، إن كان هناك من قصد. ولم يجمع الباحثون على رأي واحد؛ بل اتفقوا على أن كرت كان عادلاً ومستقيماً في حكمه، ومع ذلك حلت به هذه المصيبة بمشيئة الأرباب على غرار ما حدث لأيوب، ولم يبق له ولد يرثه، فعمد إلى الزواج مرة أخرى فرزق أولاداً.

وعلى أية حال بكى كرت وحزن وتألم لحالته هذه، ففرق في النوم، وفي أثناء نومه العميق حلم أن الرب ايل الذي تصفه القصة بأنه أبوه قد أحس به ورأف بحالته، وأمره بما يجب عليه فعله. وفي الحلم تكرر لرغبة كرت في أن يكون له ولي عهد رغم ما يمتلكه من جاه وسلطة وذهب وفضة.

استفاق كرت من نومه وانتشى وصمم على تنفيذ تعليمات الحلم، وهنا يظن الباحثون أن كرت قاوم اليأس الذي كان فيه من جراء حرمانه من الوريث الشرعي، وهو بيت القصيد في هذه القصة، وصمم على الاقتران بأميرة مميزة، فوقع اختياره على ابنة ملك ادوم ورغب بالاقتران بها ولو بالقوة.

في القصة تكرر لمقاطع من السرد، ففي الافتتاحية تسطير للحلم في نوم كرت ولما استفاق ونهض، استعرض الحلم مرة أخرى، ليعمل به وينفذ فقراته. وفي أثناء التنفيذ يعاد القول أيضاً في عناصر الحلم.

السرد وتحقيق رؤية الحلم:

وعمل كرت بما أوعز وأمر به الرب ايل، فأعد العدة حسب العقيدة القتالية لذلك العصر، فأعد الحراب والسهم والأقواس والمؤونة، وترافق كل ذلك بالحركة والضجيج، وبذات الوقت ومع هذا الصخب والفرح، فكر كرت وأمر بالاهتمام بشؤون حبرن مدينته، فأمن الأراذل واليتامى والعرائس والمكفوفين

كقطع النقود. فنعس من البكاء ونام قلقاً محتاراً؛ ثم حلم أن الرب ايل أتاه وسأله: ما بك؟! أو ليس لديك كل هذه الأموال والقصور والجاه والحكم...؟ أجاب متسائلاً أأريد الذهب والفضة والخيول؟! لا بل أريد أولاداً، أريد الخلف.

إذن يكمن سر المصيبة في أنه خسر الذرية والوريث الشرعي؛ ولأنه مؤمن نزل عليه ايل وكلمه أمر أن يكف عن البكاء تزخض وتآدم أي هون عليك وتقبل المصيبة. ثم توضح وخروفاً وجدياً وخبزاً وخمراً، وادع الأرباب لأضحياتك من فوق السقف؛ أي اصعد فوق السطح وناديهم إلى الأضحية.

اعداد الجيش وزحفه:

بعد ذلك جهز الجيش للزحف وفيما ينشغل الناس في الاستعداد وتحضير تموين الجيش من خبز وذبائح ومعدات نقل، انصرف آخرون إلى الاهتمام بوضع المدينة حسب أوامر ايل، وهي: الوحيد يسكر بيته، وكذلك الأرملة والذابل، أي المريض على الفراش يبق، والأعور أي الأعمى أيضاً. والعريس يودع زوجته لدى الأهل والأقارب.

سار الجيش وزحف كالجراد على تخوم الصحراء لمدة سبعة أيام، فوصل إلى آدم، وأدم ربما هي بلاد ادوم في شرقي الأردن. وهي مدينة كبيرة ثرة وغنية ومحصنة، وترى الناس من حولها منهمكين في أعمالهم اليومية؛ اصبر عليهم ولا تحتك بهم لمدة سبعة أيام، وفي اليوم السابع الملك قبل لا يؤسن لا ينام من ثغاء الحيوانات ونهيق الحمير وتنبيح الكلاب وخوار الثيران التي أتعبها الحصار. فيرسل إليك الرسل ويعرض عليك أن يقدم لك ما يملكه من ذهب وفضة وحيوانات، فتجيبه مالي ولهذه الحاجيات عندي منها الكثير؛ وعليك أن تعرض علي ما هو ليس عندي وهي (مثةحري) =ميثة الحري أي الأفضل والأجدو وهي الجميلة الثرة الغضة ستسعدني، وفي الحلم أيضاً يقول لرسول الملك قبل أن الرب ايل هو الذي أعطاه ميثة، وعمل كل هذا بأمره، ويكرر النص مرة أخرى ماجرى، وبعد جدال قبل الملك قبل وزوج ابنته البكر لكرت، وجلبت له الأولاد ذكوراً وإناث.

ولشدة فرحه يبدو أنه نسي أن يقدم الأضحية للأرباب في صيدة وصور، فذكرته بواجبه هذا وعاتبته بشده على فعلته التي لا ترضى بها، وتذكره أنها هي التي مكنته من الزواج بميثة عندها لطم خده وتآوه وندم على ما فعله، وغنى بما قاله؛ أي تذكر كل شيء. وصاح بصوت عال ادعوا لي الضباط والحاشية وكبار القوم، وطلب من زوجته أن تطبخ أسمن المهاجين وتفتح دنان الخمر وتعد الوليمة. وهنا أيضاً تتكرر في القصة مجريات الأحداث من الرؤية في الحلم ثم التنفيذ.

التنبؤ بمرض كرت:

لبى الجميع الدعوة، وعندما اكتمل الحضور خاطبتهم ميثة، وهي كما تقول القصة: الحربة باللحم تغرز، وقالت دعوتكم إلى هذه الوليمة لتتذكروا كرت قائد الجيش الذي غمر بفضل خب وعمل كل شيء لينال رضى الأرباب، وإذا لم تقفوا معه فسيموت، وعندها سيحل الدمار والخراب في المملكة.

منحى جديد في السرد المرض والنواح:

مرض كرت، وبسبب التشويه في النص لا نعلم متى وكيف وأين مرض، ونسجل هنا ردة فعل أهله: فخاطبت ميثة الأولاد، ونبهتهم إلى ما سيحل بهم لو أن كرت مات. عندها تحمس الأولاد وشكوا إلى أبيهم وقالوا: الكلاب من بيتك نعتق، وكاللئام من حوشك نطرد. وسألوه: هل ستعطي كل ما تملك للنساء؟ أجاب كرت وخاطب ولده إحو: يا بني لا تبك، ناد أختك ثتمنه فهي حنونه رقيقه القلب، وحضر لها مائدة. حينما ذهب الأخ الحو لإحضارها وفتح عليها الباب انهارت؛ لأنها ظنت

حرك اكتشاف رقم أباريت التي سطرت بخط مسماري تتشابه حروفه شكلاً فقط مع الخط المسماري الذي كتبت فيه وثائق بلاد النهرين والشام. حرك الباحثين واستهدف حراكمهم أولاً الاهتداء إلى كيفية لفظ هذه الحروف المقطعية وماهيتها، فتوصلوا إلى غايتهم، وقرروا أنها أبجدية هي الأقدم في العالم حسب المكتشفات الأثرية المعروفة. وبما أن عدد الباحثين الأثريين في الأربعينات-السبعينات من القرن الماضي كان قليلاً، فقد كرس الباحثون جهودهم في نقل الرقم إلى اللغات الانكليزية والفرنسية والألمانية وترجمتها. ومع ظهور هذه الترجمات تهافت على قراءتها ليس فقط المختصون بعلم وفقهاها اللغات القديمة في بلادنا، وهي من أرومة لغتنا العربية؛ إنما أيضاً الباحثون في الآداب؛ وغرضهم الاطلاع على ما تحويه تلك الأدبيات من أفكار ومواضيع وأساليب روائية وقصصية؛ قد ينتفعون بها، أبدعها الأديب الأوجاريتي ايل ملك.

ومن بين هذه الرقم برزت مجموعة كانت محفوظة في كوة من كوات مكتبة رئيس الكهنة في مدينة أباريت؛ تناولها وقلبها بين يديه عالم اللغات القديمة البر فسور فيرولو (Virolleoud)، ونسبها إلى الملك كرت بعد أن تعرف إلى اسمه المسطر في بداية أكثر من رقيم، ويتردد كذلك في أسطر النصوص.

ومع تقدم الدراسات في فقه لغات بلادنا القديمة وعلمها في المعاهد الأوروبية، ازداد عدد المختصين بها، واكبه ازدياد طردي في عدد الدراسات وشكلها ومضامينها. التي احتلت فيها دراسة اللغة الأوجاريتية الأحداث في أرومة لغات بلادنا القديمة موقعاً متقدماً. وانبرى لها عدد متزايد من الباحثين الذين يتقنون إحدى هذه اللغات، وهي الاكديية بفرعيها البابلي والآشوري، والأرامية والعبرية والعربية القديمة، أمدتهم بالقدرة على تفسير معاني الكلمات والتعرف إلى قواعد هذه اللغة، فنتج عن ذلك تضارب وتقاطع وتوافق وتواز بين الدراسات المتوفرة بين أيدينا.

واستحقت قصة كرت الاهتمام الواسع، ودرستها الباحثون من جوانب عدة؛ أدبية منهجية قصصية وملحمية وروائية وقواعدية ومقارنتية، ليجلوا غموض جملها ومعانيها، وقد نظروا إليها على أنها عمل أدبي ممتاز، تتوفر فيه عناصر الملحمة الشعرية حسب مفهوم عصرها، وقد سطرها الكاتب ايل ملك، وأورد فيما يلي فكرة عامة عن عناصر هذه القصة:

الافتتاحية/الفاجعة:

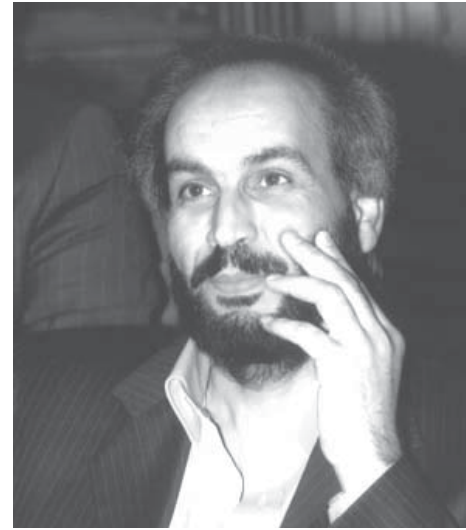
وصف كرت في هذه القصة أنه ملك حُزب التي نهجل موقعها، ونؤكد أنها في بلاد الشام الجنوبية. وتبدأ القصة بعنوان: كرت أي لكرت ثم يتبعه الأسطر 2-6 وهي متاكلة كلماتها محتوتة تشير إلى أن كرت قد حلت به مصيبة أو مأساة؛ دمر بيته والأبناء، وكان يضم سبعة أخوة وثمانية من أم واحدة، ويكمن جوهر المأساة في أن ولي العهد قد ذهب أيضاً في هذه الفاجعة، فحرم كرت من وريث شرعي، وحرم أيضاً من زوجاته السبع: الأولى أنثى صادقة ولم يطل عمرها، ثم ثانية طرحت فتبعته؛ أي مرضت فماتت، فأنا لها، أي توجع لفقدانها، أما الثالثة فماتت وهي في ريعان الشباب، والرابعة ذوت من المرض وماتت، الخامسة سفها رشف بمعنى خطفها الموت، والسادسة قضى عليها إله البحر. والسابعة سقطت بضربة سيف أو حجر.

ردة الفعل والحلم:

وحينما تلقى كرت الخبر تأوه وقال: اذن هدم البيت وذهبت النساء وخسرنا ولي العهد، ثم دخل مخدعه وناح وبكى، وتساقطت دموعه كالأتقال؛ أي

تعالى نظير أوراق الخريف ((حكاية الإنسان والمكان))

أحمد جميل الحسن



حسن حميد

في كل عمل إبداعي فلسطيني نجد أن الكاتب مشغول دائماً بالمكان والموروث، والشغل على الشخصيات من حيث الداخلي والخارجي، وإظهار الفلسطيني بمظهر المشرّد البائس المتألم دائماً، الذي يتغنى بالبلاد والذكريات والبطولات في المعارك مع الصهاينة والبريطانيين، لكن في رواية تعالي نظير أوراق الخريف نسج حسن حميد أحداث روايته بصدق، متناولاً واقع الفلسطيني وتفاصيل حياته بكل ما يحمل من عفوية وتعابيش مع الآخر والاندماج في البيئة والمجتمع الذي يعيش فيه من دون المبالغة والتكلف والتجميل، مبتعداً عن لازمة المآسي والمعاناة بطريقة صريحة ومباشرة، بل أشار إلى ذلك من خلال دلالات ورموز ضمن السياق السرد الذي تميز بالرشاقة، متجاوزاً ما سبقوه من الكتاب الفلسطينيين. فجعل من المخيم «جرمانا» جنة للفلسطيني رغم أنه أقيم مكان مزبلة، وجعل من قرص الفلافل وكأنه سيخ شواء لحم، ومما يحوشن النساء من بستان الدبوسي من خضار أشهى وأذمما يشترينه من السوق، وكذلك نجد شخوص الرواية يتحركون بسجيتهم، ولا يبتون همومهم استدراكاً للعطف أو لتحقيق غاية سياسية، بل هم أناس يريدون أن يعيشوا كما غيرهم ممن حولهم، من دون أن ينسوا أنهم مشردون وأصحاب قضية، وهدفهم الأول والأخير هو العودة إلى وطنهم فلسطين.

لقد قدم لنا حسن حميد الرواية بلغة شفيفة أسرة، كلماتها بسيطة مألوفة لكنها مطوعة بيد فنان، استطاع أن يجعل منها شعراً منثوراً، تسلبنا تلك اللغة التي يكتبها حسن حميد، إنها لغة متميزة وذات خصوصية، لها نكهة تحس من خلالها عبق المكان وأنفاس الإنسان وهمومه، وتحاكي الزمان بكل تحولاته.

مكان الرواية كان جرمانا؛ حيث سكن مجموعة من فلسطينيين سهل الحولة : (وقامت خيام أهالي سهل الحولة فوق مزبلة مدينة دمشق، بعد أن رفعوا القمامة من مكانها، ودفنوها في خندق عميق، حفروها لأجلها فقط... وحزموها على الزبالين رمي النفايات، والقاذورات، والأوساخ قريبهم، قالوا لهم :

- يا أولاد الحلال... الدنيا واسعة وراء قرية جرمانا خذوا النفايات هناك، ودعونا نهدأ قليلاً حتى تفرج) (الصفحة 9)

وقد تناول الكاتب هذه المجموعة من الناس بقلم الخبير العارف، فاستطاع بحرفية عالية رسم ملامح المكان، واستخدم الزمان المتشظي الذي تناول فيه حياة الناس في مخيم جرمانا من دون غيرهم، والشخصيات وما رافقها من أحداث في فترة زمنية بدأت بغيء النكبة بقليل في المكان نفسه، وقد أجمعت حميد الأحداث بما يتناسب ومكانة الشخصيات الاجتماعية وصفاتها النفسية والجسدية، والقارئ يستشعر مدى مقدرة الروائي على تضمين حكايات الشخصيات المرتبطة ارتباطاً متيناً بالحكاية «الأم» الرئيسية، وهي غربة الفلسطيني وحياته في مخيم جرمانا، ومما يسجل للروائي أنه تحاشى النمطية والاتباعية في السرد الروائي؛ إذ لم يجعل من شخصية واحدة بطله للرواية؛ بل كان القارئ يشعر وهو يقرأ الرواية أن الشليبي هو البطل تارة على الرغم أنه أخذ حيزاً لا بأس به من السرد، وتارة أخرى نجد أن هاجر يوسف الشامان تسنمت السرد الحكائي، أو خنيفس الطلال، أو ناجي درويش أو عبد الجواد يوسف أو فوزة العابدي، أو الهام النوفي التي لعبت دوراً مهماً في الرواية، ومن خلال علاقاتها بالمسؤولين في الثورة، اكتشفنا مدى الفساد الذي كان يعيش في مكاتب المرتزقة من الثوار الذين تاجروا بالقضية وبدماء الشهداء وخاصة القيادات منهم، وهذا المقتبس يوضح ذلك: (وقد عرفت حياة «أبو حسن» الشليبي، وظروفه وطقوسه اليومية.. راحت تتغيب عن عملها من دون أن يسأل عنها الشليبي، لقد أصبحت لها مهمات غايتها الأولى والأخيرة سعادة الشليبي، ولا شيء غير ذلك، بدأ من تأمين الحبوب الممنوعة التي يلتهمها، والأشربة والدخان، وانتهاه باستقطاب



لقد علمت المخلوقة بنات المخيم، كيف يلبسن، ويتجملن، وكيف يزلن شعر أجسادهن بالسكر وملح الليمون، والشمع، لكن بدل أن تنقل هاجر الشامان المخيم إلى عالم المدينة، وطقوس المدن ونساءها.. احتواها المخيم) ص 23، ودخل التلغاز أغلب البيوت، وتابع أهل المخيم على شاشته الأخبار والمسلسلات. حاكي الروائي الشعبي والموروث من خلال الاستدكار أيام البلاد، وذهب بعيداً في الأساطير والتاريخ عندما نسب الشليبي بجذوره إلى العماليق. ودخل في زمن استدكار تاريخي عن العماليق بإسهاب. إذ عاد بنا إلى التاريخ الفلسطيني الموعول في القدم ص 122 أكاننا عندما وصف الجنازة « جنازة دحام » ووصف حالة أم الشهيد أثناء تشييع ابنها في المخيم، كان وصفه مشهداً درامياً دامعاً يؤججاً النفس، حيث استطاع أن يدخل من خلال هذا المشهد إلى دواخل النفوس، ويبرز لنا من خلال الحكى الذي أجم العواطف واستدر الدموع دون تكلف أو مبالغة في الوصف أو السرد، بل بلغته المميزة البسيطة التي تدخل إلى أعماق المتلقي وتلهب مشاعره : (بدت فضية العطا الله متراخية رضاء الميتة، ذابلة، قرب التابوت، وذراعها تحضنه، وأصابها تشد العلم إليها، وهي تنوح، وتبكي، وتنادي بين الحين والآخر:

«قم يا حبيبي من نومك.. وسلم على (الحبايب). قم يا نور عيني قم» (الصفحة 84)

«الموت في الفدائية غير الموت في الطرقات» مقولة للروائي ص 85 للدلالة على أن الهدف الذي يقاتل من أجله الفدائي ويستشهد هو هدف سام، وأيضاً هناك مقولة أخرى ص 74 : العربي عرجي والفدائي فدائي»، وهي تحمل أيضاً دلالة على مكانة الفدائي الحقيقي الذي نذر نفسه من أجل تحرير وطنه، وليس ذلك الذي يلهث خلف متع الحياة من خلال جمع النقود ليصرفها على ملذاته في الحياة.

حكى عن الثوار ومكاتب المسؤولين في الثورة بدقة ومصداقية، وجعل الشليبي نموذجاً للتأثر المتحمس المتقدم وطنية ثم الوصولي المتنفذ، حتى أصبح قائداً في الثورة، ومن ثم تاجراً، وقد أراد أن يرسخ حميد مقولة «الثوار الكسبة» كان يحكي عن فصيل من دون أن يذكر اسمه، لكنه كان يوحي بما كان يجري في كل الفصائل، وما يفعله المسؤولون فيها (تجارة، استغلال نفوذ، انحراف، جنس ونساء) وأهم تفاصيل الفدائيين الأفراد الذين تطوعوا في صفوف فصائل المقاومة، وكل هدفهم مقاتلة العدو الصهيوني وتحرير فلسطين المغتصبة، وتضحياتهم التي كانت قوافل طويلة من الشهداء، حتى خنيفس الذي تطوع في صفوف الفدائيين غلبت عليه أهواؤه، ليبقى بقرب عشيقته الهلالية، وعاد إلى المخيم بعد إتمام الدورة العسكرية.

ما يلفت بالرواية من خلال التسلسل السرد، هو إن الروائي جعل من الأغلبية الساحقة من نساء الرواية، إما خائناً لأزواجهن أو داعرات أو يمارسن الجنس ويحبطن قبل الزواج وهذا في زمن الرواية، أقصد

زمن الأحداث التي جرت في الرواية، وهي من بداية الخمسينيات وحتى نهاية السبعينيات، لم تكن هذه الممارسات شائعة في المجتمع الفلسطيني في المخيم ولا في المدن السورية؛ بل كان الشائع في السبعينيات انفتاح وانفلات في الملابس وليس في الجسد كظهور المني جوب والشورت والسراويل الضيقة الشفافة عند النساء، والشارلستون والخنافس وأحذية الكعب العالي عند الشباب. كذلك سرد لنا عن الأب الذي يغض الطرف على تصرفات ابنته وذهابها وإيابها من دون رقيب أو حسيب لمجرد أنها عملت في أحد المعامل، وأصبح لها راتب شهري تجلبه لوالدها في بداية سبعينيات القرن الماضي؟ والسائد الاجتماعي كان يقيد المرأة ويحد من حريتها. وكيف جعل من العاملات الصبايا في معمل، خليلات لابن صاحب المعمل يداعب من يريد منهن، والهلالية عشيقة خنيفس الطلال، التي تمارس ما تريده على

مرأى من زوجها تاجر الأنتيكيات نافذ العبد الذي جعله الروائي ديوناً ص 73. بل جعل شمعة العبد إحدى شخصيات الرواية تحكي عن خيانتها أيام البلاد بتباه. أي في عشرينيات أو ثلاثينيات القرن الماضي، عندما كانت المرأة تبج إذا غمزت بعينها أو سرت إشاعة أنها عاشقة، لنقرأ ما تتحدث به شمعة العبد زوجة أيوب الروبة لبدية بائعة الفلافل (عصرني، وقبلني، واحتضني، ثم خرجنا إلى مقربة من الغدير. ارتيمنا فوق أعشاب النجيل، تخفيينا عن الأعين صخرات الغدير الشمالية. قبلني هناك قبلاً طويلة طيبة.. لذيذة» أبدأ لم يقبلني أيوب الروبة مثلها في حياته». مضى وقت طويل وأنا بين يديه، ثم قمنا إلى ثيابي عصرناها معاً، ثم، بعد وقت قصير ارتديتها، ومضيت معه باتجاه القرية..) ص 132 بلا شك إن اللعب على الوتر الجنسي في السرد القصصي والروائي عامل مشوق، ولكن حين يكون هناك منطوية في تسلسل أحداث مثل هذه؛ فالروائي أفنعتنا أيما أفناعت بشخصية إلهام النوفي التي كانت تنتقل من حضن مسؤول إلى آخر برغبتها، ولأنها كانت تسعى إلى النفوذ فعرفت كيف تستغل جمالها وتمارس سطوتها وتصل إلى مبتغاه. وتصبح ذات نفوذ كبير على المسؤولين في الفصيل من خلال جسدها. لكن ما يلفت أن هذه المرأة للعب كانت تمتلك ضميراً حياً تجاه الأفراد في الفصائل والمظلومين، فعندما علمت أن ناجي درويش ذلك الشاعر الذي كان يشغل منصب سكرتير أبو حسن الشليبي قد طرد من عمله من أجلها، وهو الذي يعيل أسرة كبيرة، هبت إليه، واستصدرت قراراً بصرف راتب شهري له وهو في البيت؛ بل استأجرت له غرفة في أحد أحياء دمشق كي يتفرغ للكتابة، ومن ثم تطورت العلاقة بينهما إلى علاقة حب وعشق وخمر وجنس. وهنا يحاكي الروائي المثقف الانتهازي الذي يرضى لنفسه أن يصبح خاضعاً لسطوة امرأة لوعب، تنتقل من حضن مسؤول إلى آخر وهو يعرف ذلك، وعلى الرغم من ذلك يطلب منها الزواج حتى بعد أن أصبح شاعراً مشهوراً وترفض. أنا أحاكم هنا المواضيع وليس البناء الفني الذي كان متيناً ومتماسكاً وبلغة عالية، عملت فيه مخيلة الروائي إبداعاً ورسماً بالكلمات.

أخيراً هي انطباعاتي وأرائي حول رواية نالت جائزة الشارقة الأولى، وفتحت باباً جديداً من أبواب السرد الروائي الفلسطيني من حيث الإنسان الفلسطيني بعفويته من دون تجميل أو استجداء لمشاعر الآخرين، كما هو الحال في روايات فلسطينية كثيرة.

هامش :

الكاتب : حسن حميد.

الكتاب : تعالي نظير أوراق الخريف، رواية.

الناشر : وزارة الثقافة.

سنة النشر: 2010

الشاعر فرحان الخطيب (بلادنا قدرها أن تكون دائماً على فوهة البركان)...

رفيق الشيباني

عنها شعراً، ليس لأبين مكانتها؛ بل لأمتدح هذه المكانة التي تربعت على عروش كثيرة في عربتنا، فكانت نموذجاً فريداً في الحب بثينة، وفي الشجاعة زنوبياً، وفي التصوف رابعة، وفي الحكمة الخنساء، وفي الشعر نازك، وغيرهن الكثيرات اللواتي أثرت حياتنا بكل محطاتها.

*أين أنت من الحب؟! وقد تحدثت عن الحب والغزل في بعض القصائد؟

**لو رجعت إلى مجموعتي الشعرية مر الهوى، لوجدتني في بحيرة الحب سباحاً ماهراً حتى ولو نقصت مياهاها (لا شيء أجمل.. أن يظل المرء يسبح لو يسر من غرام) وقد كان عنوان المجموعة (مر الهوى) فهو دائم المرور والحركة (يارب مد جوانحي.. صيفاً يلُم قفافها..). فسؤالك عن الغزل عندي من البديهيات؛ فالقصيدة تبدأ بامرأة ما ربما تكون معلومة، ولكنها تسير بخط آخر، تبدأ القصيدة وأنا بتشكيل الأنثى التي تبدأ من الرؤية إلى الرؤيا؛ أي أنها تبدأ من لحم ودم، وتنتهي بحلم متخيل، أبدل لغة ذات روح عالية لإدراك قنوطها الناعية، فإذا ما انتهت مما ظننت أبدأ المحاولة من جديد.

*شعر المقاومة يحث المناضلين على الجهاد والحماس للدفاع عن الحرية في سبيل حب الوطن.. ما هي رسالتك إلى جيل الشباب بهذه المعاني؟

**بلادنا قدرها أن تكون دائماً على فوهة البركان، لم تكن يوماً مستقرة، اقرأ تاريخها جيداً لتر أن زمنها مليئاً بالمعارك والبطولات والتضحيات، وقرأ جغرافيتها لترى أن ترابها وصخورها، سهولها وجبالها ووديانها، مروية بدم الآباء والأجداد، لم تكن غازين أبداً، بل ترد الغزاة، وتروع الطغاة لأننا من هنا، ولأجل هنا نحن مقاومون، مقاتلون، لم تنته حرب، ونستقبل شهداءها، ونكتب ما يليق بعنائهم، وتمر ذكراهم إلا لتبدأ أخرى، المقاومة ملازمة لنا كي نبقى، كي تستريح شجرة الآباء لا بد من سقايتها بدم الأبناء، حتى تزدهر وتخضوضر، هل لك يا سيدي أن تعصي ما ابتلعت الأرض من دماء طاهرة، إذا كان لك ذلك، فكيف للغة شعرية نابضة أن تتجاهل هذا المخزون الدماغي الثر الذي جعل الوطن جنة وارقة الظلال، وواحة للعصافير، وممرراً لأسراب السنونو، وقلعاً للحب والانتماء، ثم إنه، من غير الوارد أن تنبض حياة حقة من دون انتماء أصيل، وهذا الانتماء هو الهوية، هو تشكيلنا، هو ذاتنا في النهاية، وشبابنا دائماً آراء من خلال كتاباته التي أتابع، إنه مفعم بحب الوطن والدفاع عنه، وكان رائحة التراب يتنفسها من مسامات جلده، فتصوغ في عطر كتاباته لحناً سرمدياً في حب الوطن.

*كلمة أخيرة تود أن تقولها إلى قراء الشعر العربي؟

**وإن كثرت دواوين الحياة (مادية، تقنية، هموم معاشية) سيبقى الشعر الديوان الأجل لأن أصابع فيه اخترقت بنعومتها، بجمايلتها، ببوحها اللافت، كوخ الفقراء وقصر الأغنياء، إنه الشعر يا صديقي.. صديق الجميع.



فرحان الخطيب

لنطلق بها في أي موضوع أراه مناسباً كي أكتب عنه، وهذا ليس تقوقاً شعرياً ومكانياً، بل نقطة ارتكاز أرجع إليها كلها عصفت الرياح بطائرتي الورقية التي أعب بها في الطفولة الشعرية، والتي لما تزل راهنة حتى اللحظة، وقد كان لقربتي شعف في محافظة السويداء شرف استقبال وفد من أعضاء اتحاد الكتاب العرب في شهر أيار من هذا العام؛ حيث زار قممها العالية، وقد كتبت الأسبوع الأدبي عن هذه الزيارة في العدد الصادر بتاريخ 2012/5/26م.

*في قصيدة (أمي) قلت إنك زرتنا في المنام لماذا في المنام؟

**الدلالة واضحة يا صديقي، فإنني على الرغم من رحيلها، لا تفارق يقظتي، وهنا أؤكد أنها إليها لا تفارقتني في منامي، كانت بالنسبة إلي أمأ قدسية السلوك ونورانية المنهج، وبلغت في صمتها، توقظني لحظة انبلاج الفجر لأقرأ، تشير في رغبة الحياة بصفوفها الأولى، لم تؤنّبني مرة بقسوة، بل بالهداية إلى الطرق الصحيحة، عندما تابعت دراساتي التربوية، كنت أظن أنها المثال الذي يكتب عنه في التربية الحديثة رغم ولادتها ومنشئها وعيشتها الريفية المتواضعة، وفي رثائها قلت: (لماذا يطير البكاء إليك.. وينساب بين جفون الرياح.. إذا طفت بالدار أبكي عليك.. وأغسل عيني بجمر النواج).

*المرأة هي الزوجة والابنة والأخت.. تحدثت عنها في معظم القصائد.. ماذا تعني لك المرأة العربية؟

**الجواب التقليدي أن المرأة هي نصفنا، ولكننا لو حذفنا هذا النصف هل يبقى النصف الآخر قابلاً للحياة.. والعكس صحيح أيضاً، أظن الإجابة واضحة، ولكن البوح الشعري يزداد رشاقة وجمالاً إذا كانت المرأة هي اللغة الحاملة لهذا البوح. فهي الوجه الأمل والأجمل في الحياة، لهذا الشعر لوحاته الملونة في فضائنا، ويشمخ أيضاً إذا كانت المرأة حاملة في صفاتنا الحاملة لجمالية الوجود ضمن هذا البناء الشعري الصداح في خمائل اليومي من الحياة، لذا كان الحديث

الضوء الذي ما يزل يرافقني إلى اللحظة، تحمل بوحاً لما يزل يغسل أدران الأيام القادمة في كل مرحلة من مراحل العمر، إنها تحمل جعبة من الأحلام، جعبة كبيرة وكبيرة، لطفل يتلفع بعاصفة ثلجية على سفوح قرية عالية ذاتية اسمها شعف في جبل العرب، إنه الليل، والثج، والخوف، والخواء، والوجع، ولا مؤنس لقدام الأيام إلا هذا السراج، يسهر معي، ينجيني، يدمر بخوفه الخافت قلاع الوحدة، يؤنسني صمت أمي وأبي في هذا الجو العاصف، لا كلام إلا غضب الطبيعة، لم يبق لي في هذه الليلة إلا البوح وسميري هو السراج، وكلما قرأت هذه القصيدة وقلت في المطلع (ما ظل غيرك يا سراج.. كأن زيتك من ندى عيني.. وقلبي.. يستضيء بما تعبر من ضياء.. كعرائس رققت بيوت الناس في كنف الغمام.. يرفها برق وأنواء وشخ من عواء.. ونوافذ عمياء تشهق.. لا تنام ولا تفيق.. أذل ضحكها سعال الريح.. تجيش بالبعياء.. لم يبق غيرك يا سراج فلا تنم.. قلبي وقلبك يقتاتان فجراً.. في منازل انطفاء). هذه مقاطع من قصيدة (سراج) بيوتنا القديمة هل كان يخلو بيت من سراج..؟ لا أعتقد.

* (شعف) عنوان قصيدة شعرية ضمن مجموعة شعرية.. ماذا تريد أن تقول..؟

**كل شيء في أناي هو من شعف (فهي كالصبح في خيال الصبايا.. وهي كالبدرد في دروب التمني) أعتقد جازماً أن الشعر لم يباغتني مرة، إلا وانتقلت وإياه إلى حيث أيام مصيفي ومربعي في شعف، فهي ليست بيوتاً متناثرة على قمة عالية.. أو حجارة سوداء مبعثرة في دروبها.. هي حكاية فرح طفولي، وأسر هانئة.. ورائحة القش على البيدر، حين النوارج تطحنها وترسلها حبوباً للجائعين، هي رائحة البن والهيل الفواحة من (المهباج) صباحاً متقاطعاً مع ثغاء القطعان وشبابه الراعي ونداء الحواكير للفراشات الملونة، هي التأصيل المنتج لمبادرات الحداثة، والمركز المتين لكل تفرعات الصور بأشكالها الحداثيّة المبهجة والفريدة، إن الوعاء الوجداني مليء من قربتي شعف بما يساعدي أن أمتح منه لغتي

فرحان الخطيب شاعر وكاتب وأديب.. صدر له العديد من الكتب الأدبية في مجال الشعر وشارك في العديد من الأماسي الأدبية.. مدير المركز الثقافي العربي في أشرفية صحنايا.

*بدايةً حبذا لو تحدثنا عن تجربتك في الشعر.

**لا أميل إلى الاعتقاد بأن الشعر حالة طارئة على ساحة العقل للشاعر؛ بل هي نواة تحمل توجهها في ذاتنا القلقة والمتحفزة تجاه الانتقال الحر والمباشر عبر اللغة من زاوية الركود إلى مسارات حامضة.. هكذا وجدت نفسي عندما سألتها، كيف تشكل الخطاب الشعري في جوانبتي كذات، فإذا بها تجيبني هو أنت، فما عليك إلا أن تفرّد جناحك وتعلمهما الطيران والتحليق، وأعيد السؤال أهذا ما كان؟ أو ما حدث فعلاً؟ لا إجابة الآن، إلا أنني أحاول كثيراً أن أكتب الشعر، أقرأ أناي، ولكن الذاكرة السارحة في دروب العمر تأخذني إلى دروب طفولة لم أزل أحيها، وأنا أقف في كل الأماكن العالية لأقطف الشعر من على شجر الخيال، وأسرحه غزلاناً وأيائل على مروج الورق الأبيض، فكان البيت والبيتان في مرحلة القراءة الأولى، وبدأت الرحلة أسيرها متحملاً كل أمالها وآلامها.

*كيف ترى الحركة الشعرية في سورية؟

**هل نضع السؤال في مربع الحالة الراهنة؟ إذا كان السؤال يتضمن هذا المعنى، فإننا في حالة جيدة من حيث تقديم القاعدة اللوجستية لإنجاز منتج شعري متفوق، وزارة الثقافة، اتحاد الكتاب العرب، دور النشر، المراكز الثقافية المتوضعة في كل أنحاء البلاد، أما في مضمون ما يكتب، ولكل من يرى لديه بذرة الشعر فما زالت قصيدة العامود وقصيدة التفعيلة وقصيدة النثر، هذه الأكوام تتنافس فيما بينها من حيث الشكل، أما أين تكمن شاعرية شعرائها، هنا سنبحث كثيراً كثيراً حتى تقع على صيد ثمين، المهم في الأمر أن نهاية المطاف وفي قراءة كل عصر ترى أن الخلود لمن يرسخ في ذاكرة الأجيال، في هذا الاتجاه، الحركة الشعرية في سورية تملك ما يؤهلها لهذا الخلود.

*ما هي رسالتك إلى جمهور الشعر؟

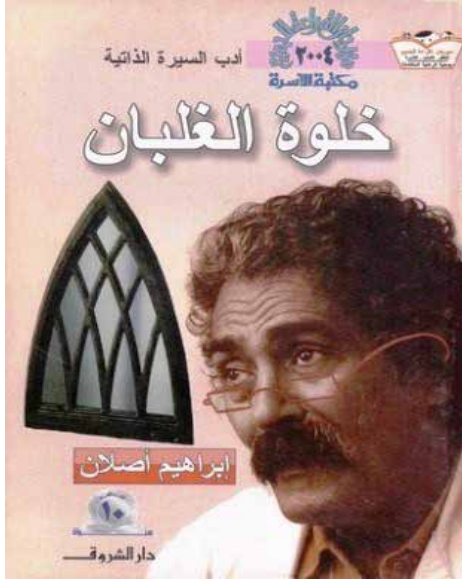
**إنها رسالة الفن، الشعر يحمل المرء من حيث هو بالمكان، إلى ساحات خيال لا يدركها إلا صانع الشعر، والمتلقي النهم للشعر، لأن حالة الإبداع لا يمكن لها أن تصبح ذات بعد إنساني، حضاري، إلا إذا حملها جناحان، المبدع والمتلقي، كل ما تملكه البشرية الآن من تقنية عالية في العلوم التكنولوجية، لا تستطيع أن تعبر عن ذرة إحساس، أو لحظة شعور دافئ، أو نامة صدر مشتاق، إن محل ما يلطخ جمال الحياة، يتم غسيله بالكلام النابع من الأحاسيس والمشاعر، بفتية عالية وراقية، مازال جمهور الشعر.. الشعر.. حاضراً.

* (سراج) عنوان قصيدة شعرية ضمن مجموعتك (أنت.. إلي)، ما سر هذه القصيدة؟

**إنها (سراج) لا تحمل سراً، بل تحمل هذا

إبراهيم أصلان في سحره السردى

رفيق الشيباني



إبراهيم أصلان

الكاتب يحس بضيق المكان، فيخرج بنا إلى الشارع العام ليصف لنا موقع العاديات والقهوة الصغيرة بشارع الجلاء، وحيات ماسحي الأحذية في الصباح والفجر؛ كل ذلك رغم زحمة العمل بالناس والرقبات، ويخرج البطل في الصباح في نهاية الرواية وليخاطب نفسه: (تصحو بيوت التراب تنبض جدرانها بالصهيل، تنهار ترابية لرجال هدهم التعب، ونساء هزليات تدلت منهن الاثداء وخلجات غبار لعيل تجري).

إنها الرؤيا الحلمية الصوفية لنهاية جميلة، يتخيل فيها قيامة لما حوله تبدل ضيق الواقع إلى اتساع الحلم.

إنها تجربة جديدة لإبراهيم أصلان؛ حيث اللغة أمام لغة شعرية مباشرة؛ فكتابة أصلان تميزت بعدة ركائز أساسية، كما يقول عيد عبد الحليم في مقالته أنشودة البساطة : (انحيازه لجماليات المشهد القصصي وتركيزه على الشخصية أكثر من تركيزه على الحدث وكتابته عن التفاصيل الصغيرة التي لا يلتفت إليها أحد، ومعايشته لما يكتب؛ فمعظم الشخصيات التي كتب عنها رآها رأى العين وعاشها كما في وردية الليل، والمشهدية حين يركز ويكثف الحدث الروائي في مشاهد رمزية ولغة المفارقة، فلا يترك أصلان قارئه الا اذا وضعه في إطار الدهشة وكسر التوقع، وكتابته عن أشياء عادية جداً خارجة عن سلطة الكتابة عن التخيل، ويكتب عما يعرف مكاناً أو إنساناً؛ فهو من الكتاب القلائل الذين أخلصوا للكتابة السردية، وبرحيله نفقد واحداً من سحره السرد ولاعبها لكبار، ولكن أعماله ستظل باقية منيرة تقف في وجه الزمن شامخة

والمتمبرم من الأنماط التي يراها منحنطة في جيزته، والشيخ الكفيف المتمرد على وضعيته العاجزة، والأم الريفية الهرمة المشرفة على الموت، والزوجة للعب، والأرملة التي تعاني الحرمان.

هكذا نرى هذا التنوع والتباين والتعدد في المشارب والتناقض في الرؤى والأحلام «تجمعهم وتوحد بينهم جميعاً تلك المسحة الدفينة من الأسي، ويحاولون التغلب عليها باصطناعهم للفكاهة والعشق المفرط لملاذات الحياة.

هذه الشخصيات الحقيقية والواقعية تملأ هذا العالم وتمنحه مدلوله الإنساني الزاخر والمعقد.

وفي روايته القصيرة ((وردية ليل)) الجزء الأول لا ينسى أصلان مهنته كموظف في هيئة الاتصالات السلكية واللاسلكية، وتصبح الوردية هي البطل الحقيقي في هذه الرواية؛ أي المهنة بطلاً. إذ يصور لنا في هذه (الوردية) العملاء أصحاب المصالح والمترددون عليها منهم لإرسال برقيات إلى ذويهم، ويصور لنا المبنى القائم بوسط القاهرة، فأصحاب الوردية يستقبلون ويرسلون البرقيات، ويتعاملون مع المواطنين بفرحهم وحزنهم، وكل برقية فرصة (للحكي) والسرد وإيراد التفاصيل المتنوعة بين النفسية والاجتماعية والسياسية.

يستخدم أصلان تقنية البرقية مثلما يستخدم غيره الفلاش باك لتوفير الحدث العام وكشف جوانب جديدة في النص، وقد اعتمد على تقنية السرد المباشر ليكون الكاتب هو الراوي، مستفيداً من ذلك لتسجيل التجارب الشخصية، ويركز على التفاصيل الصغيرة التي يجدها في مهنته وفي الحياة اليومية ونراه مهتماً بالوصف التفصيلي لبعض الأماكن والمشاعر والأحداث التي تحدث في المبنى (حتى تحول البطل الإنسان إلى جزء من بطولة المكان).

ولا شك أن العناية بالتفاصيل في السرد والاهتمام بالتركيز والسرعة والتقطيع في الحوار قد أكسب الرواية طابعاً اختزالياً، كما نلاحظ أن الكاتب يحاول المزج بين السيرة الذاتية والحياة اليومية الواقعية في أن واحد في هذه الرواية التي تقع في مائة صفحة في مجملها، وتنقسم إلى خمسة عشر فصلاً او عنواً، وكان

فالمكان المصري الذي يجف ويغيض كما الجداول والغدران التي يجالسها مالك الحزين حزيناً وذلك في خضم تحولات سياسية واجتماعية بالغة القسوة والعنف وتتبعاً المكان موقفاً خاصاً في نصفه؛ فهو يتعامل مع مكان شعبي في علاقته بالمخلوقات التي تسكنه كائنات الفضاء الروائي في (مالك الحزين) بروحه وتاريخه، فالمكان معادل للهوية، ونلمس في هذه الرواية عدداً هائلاً من الشخصيات يصل عددها إلى ثلاثمائة شخصية، وتصبح أسماء الشخصيات عنواً للمكان وروحه.

ويشير عبد الله حبيب في مقالته: أحوال الارض والسماء والبشر والماء (المكان في مالك الحزين) بقوله : (المكان في مالك الحزين يتجاوز كونه شخصية مؤنسة تعيش في الحاضر وتشهد عليه ليصبح شاهداً على ماضى بل ناطقاً مشاركاً في السرد الحاضر لما حدث فيه؛ فالمكان بذلك له ذاكرته التي تتداعى وتتداح وتخلق وشائج ودلالات من خلال كونه مجال كتابة التاريخ والذاكرة الجمعية بالمعنى الحرفي للكلمة، كقوله: وذهب بنفسه إلى بعيد الكيت كات وأبوابه الحجرية الكبيرة في قوسها الجليل العالي). (انتهت معركة الاهرام هنا في 21 يوليو 1798م، تبدو الأمكنة كأنها شخصيات بحد ذاتها، وهذه الأنسنة للمكان لم تتأت من خلال إسباغ صفات عاطفية أو وجدانية، أو إلحاق نعوت شعرية مسقطه إسقاطاً وجدانياً خارجياً من وعي الكاتب على المكان، وإنما أتت من خلال المكان نفسه مجرداً وعارياً، وكثيراً ما نجد أن المكان كالذكان يقوم بوظيفة عضوية وحسية بصرية، غرضها حراسة وتوفير الأمان والطمانينة للندماء الذين للمفارقة يرأسهم ضير كاشيخ حسني الأعمى الذي يتصرف بدهاء ومهارة؛ هذا الدهاء التعويضي يجعله هو وجلسائه بمنأى عن الأذان المتجسدة والعيون المتلصصة وذلك بالسهر في الدكان

وتميزت شخصياته بعاديتها ويوميتها التي تمتلئ بها البيئات الشعبية الفقيرة، وغالباً ما تكون هذه الشخصيات من سكان المناطق الهامشية، فهناك تاجر الدجاج المتطلع إلى بناء برج سكني، والعامل السابق في كامبات الانجليز،

رحل عنا إبراهيم أصلان كاتب القصة والرواية؛ فهو من ألمع كتاب القصة والرواية وأهمهم في مصر والعالم العربي، رحل بعد رحيل رفيق عمره الجميل (خيري شلبي)، وبرحيلهما تركا وجعاً في قلوبنا وفراغاً كبيراً. بدأ إبراهيم أصلان حياته الأدبية كاتباً للقصة القصيرة، فأبدع فيها وعداً واحداً من كتابها الكبار رغم قلة انتاجه، ثم كتب الرواية في بداية السبعينيات وكان مهتماً بالجزئيات والتفاصيل، وجاءت أعماله الروائية على شكل (الحلقات القصصية)، وترتبط جميعها برباط الاشتباك والتداخل الحدتي، ومن ثم النهاية التي تفضي إليها مصائر الشخصيات ونهايات الأحداث، ويمكن ان تلمس ذلك في (مالك الحزين)، والمتجسد بوضوح أكبر في (وردية ليل). والكاتب الكبير إبراهيم أصلان هو صاحب (بحيرة المساء) و(خلوة الغلبان) و(حكايات من فضل الله عثمان) وغيرها.

يقول الكاتب صبري حافظ عنه: هاهو أصلان (جواهرجي الكلمات البسيطة) يهزني من جديد، كاتباً متفرداً في لغته ومنطلقاته السردية، ورؤيته للعالم منذ بداياته الباكورة في مطلع الستينيات؛ فكتبت عنه حتى قبل ان يصدر مجموعاته اللافتة الأولى (بحيرة المساء) عام 1971، التي استقطبت اهتمام الواقع الادبي منذ ظهورها، وأكدت مكانته كواحد من أكثر الأصوات هذا الجيل تمكناً وأصالة عرفته منذ هذا الزمن البعيد).

كان إبراهيم أصلان كاتباً استثنائياً في فن الإبداع القصصي، وصاحب موهبة طاغية تفرض حضورها منذ اللحظة الاولى، وتحويل العادي من المشاهد إلى نصوص سردية بالغة الفتنة والطرافة، ورغم إصراره الدائم على التجريب، كما يقول الكاتب عمر شهريار، (لم يقع في فخ الغموض والإبهام، فخلق نسقاً جديداً من التجريب الذي لا يبتعد إطلاقاً على افهامهم وذاقتهم، انه نوع من التجريب الشعبي).

اهتم أصلان برسم شخصياته في معظم أعماله، ولا سيما في روايته (مالك الحزين) التي تميزت بالاكتنار والكثافة السردية الشديدة، وبعض التفاصيل الضرورية في وصف الشخصيات والأماكن؛ إذ تدور أحداث هذه الرواية التي اخرجها السينمائي المصري المتميز داوود عبد السيد في فيلمه (الكيت كات) إلى يوم هام في التاريخ المصري الحديث هو 17 يناير 1977؛ خلال مظاهرات الجوع والغضب أيام السادات، وقد استهل أصلان روايته بهذا الاقتباس الدال من الشاعر الفرنسي بول فاليري (يانا ثانيل) أوصيك بالدقة لا بالوضوح).

وهذه الافتتاحية لهذا العمل تشير إلى التقشف والابتعاد عن التعليق على التهشم والتهشمات التي تزدهر في النص، ويرى الكاتب ان عدم المبالغة في الوعي من سمات اللغة الروائية في (مالك الحزين)؛ فمالك الحزين طائر إشكالي؛ زعموا انه يقيم بالقرب من مياه الجداول والغدران، فاذا جفت أو غاضت استولى عليه الاسى والحزن، وبقي صامتاً، ويأتي الصمت هنا رديفاً للحيرة ومعبراً عنه؛ فهذا النص يصارحنا منذ البداية بأنه لن يثرثر ولن يسهب.

الهوامش :

رواية (مالك الحزين) عن مطبوعات القاهرة
رواية (وردية ليل) الجزء الاول عن دار شرقيات للنشر والتوزيع القاهرة
السرد الروائي العربي : دكتور مدحت الجبار
أدب ونقد العدد 318 فبراير 212

صفاف الروح

● فاديا غيبور

من شيزر.. نُبتت أني سوف أولد كل عمر
مزة أو مزين؛
وأني سأظل يحكمني الهوى والشعر..
أن مخبأ بين القصائد
سوف يأتي ذات عمر كي يزمني بصدر من حنين
ثم يأتي بعد منعطف ليورق في دمي شعراً
يُعيد تبركي بدماء أجدادي..
بقصر كان متكا لقهري
يوم زلزلت المدينة واستباحتها من الغرب الرياح..
من شيزر.. أيقنت أني كنت أنثى..
من جنون الشعر تولد
من نزيغ صاخب ليدي أمير نام متكناً على أوجاعه..
مقاطعا مع حزنه الشري
مع أحلامه القصوى بمملكة من الكلمات والفُرسان .
مز هنا وصاحبه
ترافقه المطامخ والدموع إلى بلاد الزوم
يأسرّه نداء الثار..
يطلقه قميص من زعاف الموت..
أسرع أيها الضليل..
أرجع للوجه كرامة أهدرتها يوم التجأت إلى الغريب
ويوم أسرجك الجموخ
كألف مهر شاردي..
والزيح تلسع وجهه..
ياااااا.. أيها الضليل
ها درب تطول وحزن صدرك شاسع
تحتاج للمأوى..
ولا مأوى سوى الكلمات للشعراء..
لا خيل تكز بهم
ولا أمجاد تحملهم إلى الساحات
يوم تعود محموماً ومغتضب الديار..
ويوم تبيك الأثافي الحزينة والحرائر..
ها.. ليلك المنهوك
يشعل توذ نجمتين على مفاتيح الدماء المستريبة
باحترق الروح في وادي الجمار..
للروح أشجان مسورة بأحزان البنفسج
باخضرار براعم الثلج المحاصر في ثياب الغيم
بالمطر الموشى
باعتناق قصيدتين على نوافذ وردة منسية
بين الأصابع والبكاء..

من شيزر.. أيقنت أني سوف أولد مزة أخرى
لأختار انعناقي من حنين الجلد... طقس الحب
أوراد التصوف
كي أدوب على جراجك
أيها الثاوي على جدران أوردتي قتيلاً..
هاك حماك الأخيرة فابترد بلهيبها..
واترك دمي يحتل أوردة البراعم
يستضيء
بشمس أغنية يخضبها رعاغ الجرح
موشوماً بالأخضر
فاخلع نشيخك ضعفك القبلي
آيات انهمارك في دمي متلبساً بالحلم
مسكوناً بأول طعنة
وابداً طريقك نحو شمسك.. معلناً
بدء النهاز



ولم يكن زمني مريضاً.. لم أكن أنثى المرابا..
غير أن الله أصغى ذات حب لابتهاالي..
فاستوى قلبي طريداً من رحاب الجنة الأولى
رهين الجنة العشرين..
لكن الأفاعي
لم تمرز سماً فوق اخضاري
يوم أعلنت انبعثي
من جذور الصخر سوسنة
على صدر الجبال..

الليل أت..
يعلم الباقون من حرس القبائل
فاحذري..
الكل أنصار الفضية - يصبحون -
ويراهنون على اقتلاعك من دمي..
يتسللون إلى نهايات السطور
الحالمات بألف صيف قادم
يسخو به ثمز وينهل الشراب معدماً بالوجد..
يقسم عاشق بالتين والزيتون
أن يحييا على عهد الصباية..
أن يقطر من نبذ القلب أغنية
ليهرقها على قدمي حبيبته التي
باعت موثيق الهوى بحقيبتين من الغواية
وارتمت مثل الفراشة
حول أقمار الكلام..
لم استرخ يوماً عهداً
مد أطل على وجودي في خريف الشوق
صوتك..
لم أكن حمقاء إذ أدمنت صحوك .. أغنياتك..
كنت أقترب الجنون.. الحلم..
نصف «شقاوة» الأطفال..
أحببت السماء.. الأرض.. أسراب العصافير..
انكسار الليل.. أحزان الصنوبر..
وابتدأت حكايتي...

في الوقت متسع لأغنية
تؤرجحها مرايا الروح تكتبها
على سغب العيون المستحمة
في لظى كفين من حمى
وإسورتين من شوك الجراح..
في الوقت متسع لأطراف الأصابع
كي تصوغ بهاءها
و تكوكب الكلمات من برق
يمز على الحقائق من سعار في دماء العابرين
إلى جهات القلب
مد أغنت على حلم ربيعي
فأيقظها الصباح..
وربيع ذاكرتي يضح بصفرة الأوراق
والأوقات أهات احتضار شاحب للريح
تصفعني وتوقد في دمي نارا مقدسة
يبعثرها الصهيل على مفارق من أحب
فيرحلون..
ويسرفون ببعدهم عني..
يباركهم رماد ناحل
عشب هشيم
أغنيات بدنتها وحشة المنفى
وغزلان البراري في دمي
ترمي خطاها ثم تمضي
مثلما جاءت على عجل..
و.. يرمضها هيام جامع
وهم شريد..
تستجير بظل وارفة وتسال:
يا صفاف الروح.. أين المبتدى؟!
كل الجهات تقاطعت..
وجنوب روبي مثل بقصيدة لم تات..
لكن الدروب تمز في عتب بها..
ويجئ حلمي بعدما أغلقت كل نوافذ الأحلام
مصلوباً على شجر غريب..
من يوافيني؟.. ويفتح في دمي دربا إلى
مطر حزين ناعم يهمني على ظمأ الرمال
فتفتديه ندية؟!
عينا سماء باردة.
الريح تمضي نحو مفترق الكلام
ولا كلام..
قد أفرغ العشاق لهفتهم
وغلوا بين أشجار الظلام..
لم توجر الأشعار ما كان المدى يحييا به
من أمنيات عابرة..
لم ينصف السمار ما كانت قبائلهم تسميه
انتصاراً للقبيلة..
هل ثم أغنية بديلة؟!
هل ثم أغنية جميلة؟!

في الوقت متسع لبعض تألق
يا - سادتي الشعراء -
فاقتطفوا عناقيد الجنون وخبثوها في دنان القلب
صار المشتى نجماً بعيداً
- والدروب قصية -
تمتد بين رسائل العشاق تقصز أو تطول..
لا فرق بين جنوبهم وشمالهم
لا فرق
هاجرت الجهات وبث وحدي
أرسم الآن الخريطة بالدماء وبالحرائق;
بالصخور المشرعات على الفضاء..

كأني أراهم

شعبان سليم

صدى وحشودا
لماذا تركت لزرع ماء
بصدر التراب
وصخرأ بزند
الهواء
أما التيس الضوء
في مشرقك؟
تحولت من خطوة
لطريق
يقول الطريق اتركوني
إذا احتدم الصخر
في لهو خطاي
وحاور مني الغبار
الرياح

تحبُّ الهواء
إذا هدهدتها التخوم
تقطر أحلامها
وتعيش معي
فهل ترث الفقز
والخوف
والكلمات التي لم أقلها
تراودني في بحار
من النور
يصقل مرآته العرش
يزرع أطرافه
بالسيوف
ولي جسدي
أُتحدث معه
فيصفي
قال لي مرة:
زنودك حبل
بما لا يطيق الخيال
أيرتاح بين يدي
وما زادني
غير مَرَّ السؤال
الحجارة مثلي

كأني
تعثرت
حين دخلت
حذاء الطفولة
في خافقيه
التقي ساعدانا
نخبأ في
دفتر للصلاة
«وكان صغيراً على الله»
كنا صديقين
ورداً
وماء
وكانت له غابة
من دبيب النجوم
تحل ضفائرها
في يديه
فمن يحتفي بالخروج
ويرفع فأساً
على الموت
قل أتخاف من الوقت
والكون يشهد
أنك صنو الأبد

في الدماء
ورمل يغني
لريح عنث
تقطع أمراسها
في الفضاء
أيها الشعر
يا جذوة الخالدين
أعطهم ضوئة
من بخور الصباح
لتحيا العصور على يدهم
توقظ الروح فيهم
أحبتهم
أصدقاؤهم القادمون
يعيدون صوت
السماء

كرمل يحارب شطآنه
ما بين جرح وموت
يرفون
في الليل
تحضنهم رجة القارعة...
للهواء الذي اغتالني:
أولم العقل
اغسل خطاياك
من قمر لم يذق
طعم خضر السماء
يسامر قافلة
من نجوم الشمال
الثياب التي ترتديها
الجبال
ستهرب في بحة امرأة
تشاطرك الدمع
والأسئلة
أيها الحبر
أرّخ نشيد الحياة
على مقلتيها
بخوف الحروف
وسيف الظنون

التي تعشق الكلمات
يحطم تاج اللغات
خطاه بياض
ولم تكتمل
أيهذا البهي
الصديق
الألم
للحياة تزركش أثمانها
في الخفاء
فهل تسحب الشمس
منديها
من دمائي
أبوح بسر العدم
لماذا أخاف
وراسي لهيب
وقد فرّ وقتي
من ظنه
كنهر ترّبع
عرش الجبال
الغيوم تصالحني
في الحقل
يخاصمني صوتها
في الجراز

كأني أراهم
ليزتون أيامهم/
في أتون الزمن
لا توارىخ تسعفهم
كي يضيؤوا
فتنزوا المحن
أراهم...
على صهوات من الرمل
أسرجها القادمون
وفي يدهم
كوكب من حديد
وأحلامهم من زبد
أوتارهم تغسل الأرض
هل يحتفي الوقت
بالموت
في كرة
من لهيب
يقراً الكون هذا الهواء
كأني...
يجيؤون من غير أسمائهم
في الكلام
ليمحو سماء
تعذب أقمارها في الظلام
يجرون ثوب الغيوم
إلى مضجع
لا قرار له
يخاتل أجسادهم
عبّ هذي
الجهات
بابهم يتراكمض
في السرّ
من نفق
لا يقال
ويعطون للأرض
أوجاعها
وللدرب أسماءها
دم الشعر يوقد
أعضاءه
في سفير الكلام
نظل طويلاً
لكي يتخلى التراب
عن الماء
والنار
يفتح باباً عصياً
لكي تدخل الكائنات...
ليس بيني وبين السماء
سوى لجة
من غموض
فارسوا شكلها
في كتاب الحياة
لها تتقطر
في وارف الأمنيات
وطناً
ليس فيه
سوى اسمه
/ من وطن/
كأني أراهم...
تلك أغنية الخالدين
فحيح خطاهم
مرايا تأنس فخازها

الوجه الذي لا يغيب

محمد منذر لطفي

إلى الشاعر العربي الخالد عمر أبو ريشة

أكبرت شعرك.. والبيان يامبدع الصور الجسان
يا شاعراً.. خَلَدَتْ فرائد شعرك عبر الزمان
من للبيان السحر إن سألو..؟.. سوى شيخ البيان
يا أيها القلم الذي في السَّبْق.. لم يخسر رهان
عَطَّرت بالشعر المغاني.. والنسائم.. والجنان
وأعدت للفصحى السنن حتى أضاء المشرقان
خُذْ كُلَّ ما ملكت يداي.. وأعطني ذاك البنان
حتى أكون مع الشمس مُخلداً في كل أن
- 2 -

ياشاعراً.. زحم النجوم.. وحسب كان المجد.. كان
ما أنت إلا فارس أرحى لمهرته العنان
لم ترص أن يغشى الجمى ليل المذلة.. والهوان
فأخذت تضرب باليراع.. فغاز منك النيران
هذي «سويداء» البطولة.. تحتفي.. فالوقت حان
راحت تردُّ لك الجميل.. تكرمُ السيف اليمان
هذي مواكبها أتتك.. وقد دعاها الخالدان
شعر.. وفنَّ خالص يزهو به قاص.. ودان
- 3 -

يا شاعراً.. غنى العروبة.. كان للفصحى أمان
أوتيت ريشة ساحر زفت لنا غرر المعان
المنبر النشوان.. والشعر المخلوق.. شاهدان
وأكاد أحجل من وقوفي اليوم بعدك في المكان
كنت الأديب.. الشاعر.. الصنّاعة.. الحز اللسان
كنت المُعزّد في السلام.. وكنت في الحرب العوان
أغليت صرخ الشعر.. عملاقاً.. وكنت «الدَّيدبان»
لك في رياض الشعر أجمل روضة.. لك جنّتان
- 4 -

يا شاعري.. يا أيها السيف المرصع بالجمان
لم تخفص الهام النبيل.. ولا جبين العرّ هان
فغدوت للشعر المقاتل فارساً.. ثبت الجنان
غنيّت للوطن الجريح.. وقد غزاه الأفعوان
ومضيت توظف أمة نامت.. فنام العنقوان
ونفختها روح النضال.. وكنت أمضاها سنان
علمتها أن الحياة مواقف تأبى الهوان
لا يسلم الوطن الكريم.. إذا خلت ساخ الطعان
- 5 -

يا شاعري.. يا صاحب الكرم الذي أغنى الدنان
لك سيرة بيضاء لا أنقى.. تضبيء المهرجان..!
هذي قصائدك المُعطرّة.. الكريمات اللدان
سكبت دواليها على النُدمان.. فهي سلافتان
فكأنها.. وكأنّ روحك خلفها.. قيثارتان
هذا هو الشعر الجميل.. فهل إلى ضمّ يدان..؟
يمضي الزمان.. وأنت والشعر المُجَلّي.. توأمان
من كان مثلك.. خَلَدَتْه مع الشمس قصيدتان

حرمنا من بهجة العيد

● أحمد زياد محبك

انظروا إلى اللوحة على باب البناء: الدكتور عادل علاء الأكرم طبيب أسنان، الدكتور علي علاء الأكرم طبيب جراح، الدكتورة علياء علاء الأكرم طبيبة نسائية، الدكتور عدنان علاء الأكرم مهندس عمارة. وهو في غرفة الاستقبال الفخمة ينظر إلى أولاده الثلاثة وهم يقعدون أمامه. مالك، أسمر طويل نحيل، وهو الأصغر، الأكثر ذكاء، لا بد أن ينال الشهادة الإعدادية بترتيب الأول، ليحظى بمنحة دراسية، مجد الدين، الأوسط، موفور الصحة، ميال إلى السمرة، حيوي نشيط، في الثالث الثانوي، سينال الشهادة الثانوية بمعدل ممتاز، سيدخل كلية الطب، وسيخصص في الجراحة العامة، الدورات والدروس الخاصة كلفته مبلغاً ليس بالقليل، استدانه من صديق عزيز، من صديقه علاء، صفي الدين أشقر، وسيم، طويل، في السنة الثانية من كلية الهندسة، المعجبات به كثيرات، يحمل أربع مواد من السنة الأولى، معدل علامته قليل، ولكن سيحقق المعدل الجيد على الأقل.

يتأملهم وهم في مقاعدهم، يراهم يملؤون غرفة الاستقبال، صفي الدين في بدلته الكحلية، المناسبة جداً لشعره الأشقر، ربطة عنقه عقدتها أمه، بعناية، هاهو أمامه كأنه وزير، في رصانته ووقاره. مجد الدين، يتحرك في المقعد، يهم بأن يضع رجلاً على رجل، ولكنه يعدل عن ذلك، بدلته خنوبية مناسبة جداً، كم هو متألق، اعتذر عن ربطة العنق، مالك في بدلته الفضية، كم هي مناسبة لسمرته، وربطة عنقه الكحلية أنيقة جداً، أنا عقدتها له بيدي.

منحت كل واحد منهم زجاجة عطر، من نوع بروت، عطري المفضل، أيام الشباب، عطر القوة والرجولة.

مجد الدين لم يخلق ذفنه، لم يضع ربطة العنق.

لا بد من بعض المواقف التي تحز في النفس، ولكنها مقبولة، فهم شباب من جيل جديد، ولهم أنواقهم، ولكن لا بد من مراعاة الذوق العام.

ليست بدلاتهم من أفخم محل في المدينة، وليست أوروبية مستوردة، ولكنها ليست رخيصة مبتذلة، وكذلك الأحذية وربطات العنق، ولكنها كلها مقبولة، بل أنيقة، أنا، حين كنت في عمرهم لم ألبس مثلها، وأنا ما اشتريت مثلها منذ ثلاثة أعوام. أولادي أولى بها مني. كان بودي شراء ما هو أجمل منها. ولكن لا أريد الإفراط في العناية بالمظهر، ولا أريد الإهمال، الدورات والدروس الإضافية والكتب أهم، لا بد من العدل والاعتدال.

هو العيد، ولا بد من بعض الملابس الجديدة، ولا بد من بعض الحلويات، ولا بد من الطعام المتميز في العيد المختلف عن الطعام في باقي الأيام. أيضاً لا بد من بعض الزيارات للتهنئة بالعيد، بالطبع لم يعد بالإمكان زيارة كل الأقارب وكل الأصدقاء، بيوتهم تباعدت في أرجاء المدينة وتناثرت، والمدينة امتدت واتسعت. طبيعة الحياة اختلفت.

*

أسير إلى جوار أبي، أمسك يده، هو يمسك يدي، يده كبيرة، قوية، يدي صغيرة ناعمة، أقبل يده، أتسنم عبق عطر الورد، أتلمس الشعرات البيض في ظهر يده، كم أنا صغير وقصير، وكم أبي كبير وطويل، خطواته على بلاط الرقاق قوية وسريعة، وأنا أعدو إلى جواره بخطواتي الصغيرة كي أبقى إلى جواره، الأزقة ضيقة، متعرجة، خطواتي تكاد تتعثر فوق بلاطها المفلطح، أشم رائحة أطعمة العيد، وما فيها من دسم، أشم رائحة الكعك، أمام دار أرى كبشاً مذبوحاً والدم منداح تحت عنقه، وأمام دار أخرى أرى كبشاً معلقاً من كرعوبه والجزار يسليخ جلده، أكثر من مرة يقف أبي ليسلم عليه بعض الرجال، يعانقهم، يعانقونه، يهنئهم بالعيد، يهنئونه، يمسحون بأيديهم على رأسي، ثم نمضي نسرع في



ويسأله صفي الدين:

- كم بيضة تضع الأنثى؟

- ثلاث بيضات أو أربع بيضات، ولكن لا يعيش غير فرخين.

ويسأل مجد الدين:

- كم مرة تضع البيض في السنة؟

- إذا توافر لها الغذاء الجيد والجو المعتدل وضعت بيضات جديدة بعد تمكن الفراخ من تناول الطعام بنفسها، في كل شهرين تبيض مرة.

ويسأل مالك:

- وهل تبيع هذه الفراخ ياعم؟

يضحك علاء:

- لا يا ولدي، هذه الفراخ هي أولادي، هل يبيع أحد أولاده؟ أنا أقدمها هدية للأصدقاء، كي تعيش في بيوت جديدة، وتبدأ حياة جديدة، تماماً مثلما يزوج الرجل ابنه، أو ابنته، يودع الأب والأم أولادهم، ليبدأ الأولاد حياتهم.

يودعه، هو وأولاده الثلاثة، ويخرجون.

*

يشعر بالسرور، يهبط على الدرج، يتقدمه أولاده الثلاثة، صفي الدين، ومجد الدين، ومالك، يحس كأنه يخلق فوق الدرج، كأنه يطير.

*

وهو يقرع الجرس قبل الدخول إلى المبنى يقول لهم:

- تسرني زيارة صديقي علاء بصحبتكم يا أولادي، لتهنئته بالعيد،

يرن هاتفه الجوال، ينظر فيه، وإذا هو والده، يلتفت إلى أخويه، وهما وراءه في المقعد الخلفي من سيارة الأجرة، يقول لهما:

- ما ارتحنا منه، لحق بنا حتى هنا.

يعلق الأوسط:

- كيف قال لنا: عيشوا أيام العيد على هواكم؟

يعلق الأصغر:

- ندم، رجع في كلامه، يجب علينا العيش على مزاجه وهواه، أنا أعرف.

يعلق الأوسط:

- أغلق الجوال، ولا ترد.

يضيف الأصغر:

- ردّ باختصار، افهم منه ما يريد؟ ربما كان عنده صديق آخر حتى نزوره معه؟!

يفتح الجوال، يرد:

- نعم، ماذا تريد؟

يأتيه الجواب:

- تعرف صاحب هذا الجوال؟

يدهش يسأل:

- من أنت؟ هذا جوال أبي؟ هل أضاعه؟ أين عثرت عليه؟ هل سرقت منه؟

يأتيه الصوت هادئاً:

- استمع بهدوء ولا تستعجل، سوف أخبرك، الموضوع بسيط، لا تقلق.

ويصيح به:

- تكلم، قل لي من أنت؟ وماذا تريد؟ أين أبي؟

*

يتنبه إلى ولده صفي الدين، وهو يشير إلى الساعة المعلقة على الجدار، ينظر فيراها تشير إلى الثانية والنصف، يلتفت إلى صديقه.

- أرجو أن تسمح لنا.

ويرد مضيئه:

- أنا سعيد بزيارتك وزيارة أبنائك الشباب، ويسرني تناولكم الغداء معي.

- أشكرك، ما توقعتم مرور الوقت بسرعة، نحن هنا منذ ساعة ونصف، كرمك أنسانا الوقت، هي زيارة تهنئة في العيد، أنا يسرني البقاء، أنت تعرف مكانتك عندي، ولكن للأولاد حق، عندهم أصدقاء، ولا بد من زيارتهم.

ينهض هو وأولاده.

يستوقفهم، يقول لهم:

- أظن سمعتم صوت الكناريات وهي تغرد، تفضلوا إلى الشرفة. في الشرفة ثلاثة أقفاص، في كل قفص زوجان من الكناريات الصفراء الذهبية كالشمس، تغرد.

علاء يتكلم:

- هذه الكناريات هي هوايتي بعد إحالتي على التقاعد، أقعد أمامها في الصباح أتأملها، أصغي إلى تغريدها، كل يوم أضع لها الطعام الجديد، أنظف الأقفاص، أضع لها البيض المسلوق، أتأملها وهي تزق فراخها، لو رأيتم الأم كم هي حريصة على الفراخ، تقعد فوقها، تغطيها بجسمها، تفرش فوقها أجنحتها، ترد عنها البرد والحر، ويقف الذكر إلى جوارها، يزقها الطعام، كي لا تغادر الفراخ، وإذا ما غادرت العش، لتأكل، أوتشرب، أو تحرك جناحيها، قعد هو بنفسه في العش فوق الفراخ، بل يزق هو بنفسه الفراخ، وإن كانت هي مهمة الأم، لا تعرف أيهما أكثر حناناً على الأولاد، الأم أم الأب؟

الخطا، نزور أعمامي وأخوالي وأصدقاء أبي، أرجع إلى البيت جيبي مملوء بالحلويات وقطع النقود.

* وهو يغلق الباب وراءه، يلقي نظرة على اللوحة المعلقة إلى جوار الباب، يقرأ الأسماء.

لماذا لا يكون أولادي مثل أولاد صديقي علاء الأكرم، ليس عندي فيلا فاخرة مثله، ولكن أنا أسعى جهدي لتوفير كل ما يحتاجون إليه، على كل حال يكفيني أنهم أولاد طبيون، مطيعون، أخلاقهم عالية، بل سينجحون، وسيكون كل واحد مثل أولاد علاء، بل أفضل، سأراهم أطباء مهندسين صيادلة، كل شيء ممكن، لا أعرف المستحيل.

* بعد بضع خطوات يستوقفهم على الرصيف يسألهم:
- ما رأيكم في زيارة صديقي ماجد، واسمه من اسمك يا مجد الدين؟

صفي الدين يسأل بنبرة حادة:
- يسكن في فيلا مثل علاء؟ وأولاده دكاترة؟
يضيف مجد الدين:

- ونقعد عنده ثلاث ساعات ليعطينا مثل صديقك علاء ألف درس في الأخلاق وطاعة الأبوين والاهتمام بالدراسة والتفوق والاختصاص؟

يدهل، يصمت، يفاجا، يسأل بهدوء:
- زيارة علاء ما كانت مريحة؟
يصمتون، يضيف:

- ماجد مختلف، يسكن في حي شعبي فقير، شقته متواضعة، أولاده عمال بسطاء، ما تابعوا الدراسة.

مجد الدين ينظر إلى نهاية الشارع يعلق سائلاً:
- نزوره ليرى بدلات العيد الجديدة؟

صفي الدين يفك ربطة عنقه، يشدها بقسوة، يطويها يضعها في جيبه، يتكلم:

- أنا راجع إلى البيت، لأبدل ثيابي، سأزور صديقي سامر، عندنا عمل على الحاسوب، سوف نستفيد من عطلة العيد لإنجازه.

يضيف مجد الدين:
- أنا وقتي ثمين، بعد شهرين عندي امتحان الشهادة الثانوية.

يلحق مالك:
- وأنا أعتذر، عندي دراسة وتحضير.

* صفي الدين، أكبرهم، يلتفت إلى والده، يسأله:
- أريد سؤالك، لماذا تحرص في كل عيد على زيارة علاء، ونحن في صحتك، وهوا يزورنا؟

ويتكلم مجد الدين، أصغرهم، ويسأل:
- هذا صحيح، ولما كنت في المستشفى أول مرة ما زارك غير مرة واحدة.

ويضيف مالك:
- وحتى لما دخلت إلى المستشفى مرة ثانية ما زارك غير مرة واحدة.

الأب يضع يده اليمنى على كتف مالك، ويده الشمال على كتف مجد الدين، يطرقت رأسه، يوجه بعينه صفي الدين، وهو يحاول إخفاء الدموع المترقرقة في عينيه:

- يا أولادي، لما أصابتنى الجلطة أول مرة، عمكم علاء دفع كل مصاريف المستشفى، وفي المرة الثانية، دفع كل مصاريف المستشفى، وأجرة الدورات والدروس الخاصة، يا مجد الدين، استندتها منه.

يطرق رأسه، ثم يرفعه ليقول:
- وإذا أصابتنى جلطة ثالثة، فلا تخبروه، أنا أحس بالخجل أمامه.

يضغط على كتفي ولديه، يرسل نظرة نحو مجد الدين، ثم يقول لهم:
- اذهبوا حيث شئتم، عيشوا أيام العيد على هواكم، الله معكم.

* يقطعون الشارع مسرعين إلى الرصيف الآخر، وهو واقف في موضعه من الرصيف يتابعهم بقلبه وعينه، يرى قاماتهم وهاماتهم، وسرعان ما يغيبون عن أنظاره في شارع فرعي، يظل واقفاً هنيهة، ثم يمضي وحده على مهل بجر خطواته.

* صفي الدين يتكلم:
- ما رأيكم؟ أدعوكم إلى صندويشات همبرغر، لا أريد العودة إلى البيت، اليوم أمكم في المطبخ، ولا بد من اللحم والفريكة، طعام العيد دسم، كلنا لا نحبه، وعلى المائدة يجتمع الأخوال والخالات، أو الأعمام والعمات؟

- أنا أكره هذه الواجبات الرسمية والمناسبات.
- وأنا: أكره شيء عندي هو المناسبات والولائم.

- أنا أقترح البيتزا؟
- لا بأس، أدعوكم إلى البيتزا مع الكولا.

وعلى الفور يشير صفي الدين إلى سيارة أجرة، يفتح الباب الأمامي، ينخرط في المقعد إلى جوار السائق، يلقي أخواه بنفسيهما في المقعد الخلفي.

* السيارة تنطلق بهم، وتنهمر التعليقات، وسط قهقهات صاخبة.
- أنا أعرف، أبونا أخذنا إلى زيارة صديقه علاء ليعطينا ألف درس في الأخلاق والإحسان إلى الأبوين والتفوق في الدراسة والتخصص.

- وإذا دفع العم علاء نفقات المستشفى؟ ماذا يعني هذا؟ هل هو وصي علينا؟ هل يعني استعبادنا؟ أنا بكرة أعمل، وأرد إليه كل ما دفعه.

- وأنا لا أريد الدروس الخاصة ولا الدورات، لن أذهب بعد اليوم إلى الدورة، ولا أريد الدروس الخاصة، لا أريد الجامعة، سأدخل إلى أي معهد، المعهد الفندقية يقبل كل الناجحين في الشهادة الثانوية، مهما كان مجموعهم.

- أنا اختنقت من ربطة العنق.
- ويريد منا زيارة صديقه الفقير ليقول لنا: انظروا، حالنا أحسن من حال غيرنا.

- والأنكى من هذا كله، يريد إلbasنا بدلات رسمية، يريد جعلنا في عمر الشيوخ والعجائز.

- لا، أنت لا تعرف، يريد رؤيتنا مثل الوزراء والمسؤولين والأغنياء.
- المشكلة، أبونا ما درس، ولا حصل أي شهادة، عنده عقدة نقص، يريد منا التعويض عن النقص.

- لأ، المشكلة، كلف نفسه، واستدان واشترى ثلاث زجاجات بروت، عطره المفضل، لا يعرف، هذا العطر هو عطر أيام زمان، عطر العجائز، اليوم عطر الشباب فور إيفر أو أمازون.

- والأنكى من هذا كله، أسامينا، كلها من عهد عاد وثمود، اسمعوا: صفي الدين، مجد الدين.

- يا جماعة، لا يجوز أن نلوم أهالينا على أسامينا، أما سمعتم قول فيروز؟
- وماذا قالت؟

مالك يقلد فيروز بصوت أجش عريض:
أسامينا شو تعبوا فيها أهالينا حتى لا قوها أسامينا

يرد صفي الدين:
- والله ما تعبوا، لاقوها جاهزة، اسمك أنت وحدك، يا مالك، تعبوا فيه.

- كان من الواجب تسميتك مالك الدين.
- أنا سأغير غداً اسمي.

- أقترح عليك اجعله: سيف الدين.
- أنا فور رجوعي إلى البيت سألبس الجينز وأخلع هذا الحذاء وأنتعل حذاء الرياضة.

- أنا توقعت خلحك لاسمك.

- وأنا سأحلف ألف يمين، سأعلق البدلة في الخزانة، وأقول لها: هنا أودعتك، لن تخرجي منها إلا بعد عشرين سنة، لما يصير عمري أربعين، أو في يوم زفافي.

- أنا حتى في يوم زفافي سألبس الجينز.

- لأ، أنا سأظل في البدلة، وسألعب فيها كرة قدم، حتى تتمزق.

- الحقيقة كما قال إخوة يوسف: إن أبانا لفي ضلال مبين.

- صدق الله العظيم.

وتنفجر القهقهات.

* السائق العجوز ينظر إليهم في المرأة. يتنبهون إليه، يسأله كبيرهم:
- هل عندك أولاد يا عم؟
يرد:

- لو كان عندي أولاد ما رأيتني وأنا في هذا العمر أعمل سائق أجرة.
يلحق أوسطهم:

- يعني لو كان عندك أولاد كنت جعلتهم أجراء يعملون على السيارة، وكنت أنت نمت طول الليل والنهار.

وتعلو القهقهات.

السائق العجوز يعلق:

- لا يا أولادي، صدقوني، لو كان عندي أولاد كنت خدمتهم أنا بعيوني، كنت سأعمل سائق سيارة أجرة، حتى يدرسوا ويدخلوا الجامعة، كل حلمي ولد يدخل الجامعة ويدرس الطب، ليعالجني في شيخوختي.

يلحق أصغرهم:

- هذا هو حلم كل الآباء، كل أب يريد من ابنه دراسة الطب، كل ولد طبيب.

يلحق أكبرهم:

- بعد عشر سنين لن نجد غير الأطباء، لن نجد أي عامل أو سائق سيارة أجرة.
- ستجد مالك يخدم في فندق.

- ليس من العيب الخدمة في فندق، هذه مهنة لها علم وأصول، وتحتاج إلى شهادات.

- صاحب فنادق هيلتون كان أجير في أحد الفنادق، بعدها صار صاحب أكبر سلسلة فنادق في العالم.

- وأخي مالك سيصبح صاحب سلسلة مالك للفنادق، أنا من الآن أقترح عليك اسم الفندق، فندق مالك؛ بل فنادق مالك، اسم ماسبقك أحد إليه.

وتنفجر القهقهات.

يقطعها رنين الهاتف الجوال.

* ويرد الصوت بهدوء:

- قلت لك لا تقلق، اهدأ، أرجوك، أبوك في المستشفى، كان يسير على الرصيف، فجأة وقع، أصابته جلطة، أنا حملته بنفسي، وضعه الآن مستقر.

يصيح:

- أين هو؟

- في مستشفى الأمل.

* يطلب كبيرهم من السائق التوجه إلى مشفى الأمل.

أصغرهم يهمس:

- حرمانا من البيتزا والكولا.

- قل: حرمانا من العيد كله.

السائق ينظر إليهم في المرأة، يعلق:

- تفاءلوا بالخير، يا شباب، أبوكم في المستشفى لا في المشرحة، لا سمح الله.

ويأتيه الجواب:

- أنت لا تعرف، هذه ثالث جلطة.

ينظر إليهم في المرأة ثانية، تسقط من عينه دمعة، ثم بيتسم.

الحب في غير زمانه

مصطفى قاسم عباس



دقت الساعة رنين الثالثة بعد منتصف الليل، هبت خلود من غفوتها، تلفتت حوايلها في توتر محموم، تناوبتها الوسواس والأفكار، اغتالتها التساؤلات، لماذا لم يعد زوجها حتى الساعة؟!... مضت إلى النافذة بخطوات بطيئة، زخات المطر عنيقة قاسية، تلتهم تحت أعمدة الكهرباء في تحد واستفزاز، السيول تجري في ممراتها، يرافقها صوت حفيف الأشجار المستسلمة للرياح الغاضبة، تصغي إلى صوته الأجنس، تلتفت وراءها في رعب... «خلود - سوف أخرج إلى موعد هام، انتظري عودتي، هناك ما أود أن أقوله لك...»

ما الذي يريد أن يقوله؟ ماذا تعني نظراته الحادة إليها؟! ما الذي يفكر فيه زوجها؟ ولماذا استدعى كريم إلى مقابلته ليلاً في الشركة؟..

تري؛ هل يعلم زوجها بالعلاقة التي تربطها بكريم؟!... رفعت رأسها إلى السماء، ترجو الله أن يكتفم سرها، فما كانت تحتاج إلى أكثر من بضعة أيام، تسوي فيها أمور الطلاق، ثم تتزوج من كريم...

ليتها أصرت على طلب الطلاق، ليتها غادرت البيت وهربت؛ أين تذهب؟!.. لا مكان لها في هذا العالم غير قلب كريم، وكريم بالذات، لا يمكنها الهرب إليه، خشية أن يتهمها زوجها بالزنا والخيانة والفجور...

غصة في الصدر داهمتها، شعرت بنفسها تسقط في غابة من الرعب والمخاوف، نظرات زوجها تتوعدها، تداهم عينيها، تقف أمامها بالمرصاد، تهدهدها، تنزف غضباً وحنقاً وشكاً...

تري؛ هل علم زوجها بالسر الذي تخفيه؟! هل شعر من تلقاء نفسه بحبها الكريم؟!.. وهل أدرك وحده أن طلبها للطلاق غايته لقاء العاشقين لقاءً أبدياً؟!..

لو أن الأقدار جمعتها بكريم قبل أن تتزوج من زاهد، لما نزلت حزنًا وكمدًا، ولما استعرت ليلها لها، واصطلت أيامها نارًا، كلما حاولت إخمادها تأججت من جديد...

منذ أن رحلت أمها، جذبتها الأقدار إلى سرب الأشقياء المحرومين، ألفتها الصفعة تلو الصفعة، فقد اختار أبوها امرأة أخرى تحل محل أمها، أرملة لعوب، لم تفارق شرفة بيتها، حتى اللحظة التي توجت فيها أميرة لا يرفض لها طلباً.

اختارها أبوها من دون نسوة الحي، احتلت مساحة أمه وغده، تغلغت في أحاسيسه، وعزت على شرايين قلبه، فاستجاب لحسنها، وشغف بجمالها، واستمات في إرضائها، فقاومها ملكية البيت الذي يسكنه...

استاءت خلود، امتعضت، لم تقدر على كبت انفعالها، نظرت إلى أبيها نظرة لائمة عاتبة، فاجأتها حسناء بالخبر المرؤع: - سوف تنعمين بالزواج من رجل مثل أبيك، وبيت أجمل من هذا البيت، سوف تصبحين حرة نفسك...

نهضت حسناء إلى جوار زوجها، همست في أذنه، داعبت أناملها شعره.. تراقصت كلماتها في عينيها، أغرته بالسفر إلى بحارها، زعزت أركان عقله وقلبه، نهض من مقعده أسيراً لسلطانها، وبدا المارد ضعيفاً، مستسلماً، خاضعاً لإرادة تفوق إرادته...

منذ تلك الليلة أدركت خلود أن لا مكان لها في بيت تسكنه زوجة أبيها، هذا الرجل القاسي العنيف، تناسى المرأة التي شاركته عمره، وتحملت فظاظته وجبروته، وقضت حياتها تبحث عما يرضيه، من دون أن يرضى، ومن دون أن يلاطفها، بكلمة تطيب خاطرها...

كان قوياً، عنيداً، عملاقاً، وسقط هزلياً، ضعيفاً، منهكاً، أمام الأنثى التي أدركت خفايا نفسه، وباتت خادماً أميناً لأهوائها ومتطلباتها.. يوم عرض عليها أبوها الزواج من زاهد، ظنت في كلامه هزلاً وسخرية، دعابة ملأت فمها بالضحكات التي سرعان ما تجمدت على شفيتها، حين تبين لها جذية العرض، وحين جاء زاهد للتباحث مع أبيها في أمر الزواج، شعرت بأنها تُشيع حياتها بيديها، وتواريتها التراب.

شهمت وتوسلت، ذرفت دموع الرجاء، فهي لا تزال في الثامنة

فراقها، أو التخلي عنها...

في شقته الصغيرة ضمها إليه، تسارعت نبضات قلبه، شوقاً لإرواء النفس العطشى، تطايرت الكلمات من بين شفثيه سكري، وراح يهتف باسمها، ويقسم بحبها..

- خلود، أنت وجودي وخلودي، اطلي الطلاق فوراً، أنت خلقت لي وحدي، ولم تخلقي لهذا الرجل... ويسترسل بولع:

- أنا أموت يا خلود، أموت كلما خيل إلي أنك بين ذراعيه، أتذوق مرارة الموت عشرات المرات، ألهب بنيران الغيرة، أنا مجنون بحبك يا خلود، مجنون بحبك... مجنون... مجنون... مجنون...

دبت الحياة في روحيهما، عاشا فتنة الأزمنة المحرمة، تخلصا من أطلال الماضي، وأغلال الزمن، وفي عتمة الليل لاح لهما الفجر الجديد...

الحب أقوى من عقد الزواج، الحب إحساس فطري، يولد بمحض الصدفة، يشتد بنيران اللقاء، يتحزز من كل العوائق والمحرّمات، يداعب الروح، يدغدغ الحواس، يمنح الجسد ذبذبات من الخدر الممتع اللذيذ، ويطور ناعمة من رياحين الجنة...

بالحب وحده يتخلص العقل من مخاوفه، يستبيح المعقول واللامعقول.. يتصدى للمخاطر، ويطيّب له تحديها، وحين تشتدّ خلجاته تثور عواصف الأفتدة، تنهار القيود، وتستسلم للسعادة الدافقة في انسجام روحي، يدعوها إلى تلبية جموح الحواس..

إلى متى تنتظر، ورياح الخيانة تسفيها مثل ورقة من أوراق الخريف؟!.. إلى متى تصغي إلى صرخات الضمير، وتحتمل آثام الخطيئة؟!..

جمعت شتات نفسها، استدعت كل الخواطر، وتلفظت برغبتها دون أن تنظر إلى زوجها..

- زاهد، أريدك أن تطلقني...

تنمّس الرجل في ضيق واختناق، أدرك أن زوجه عاشقة، وأن ظنونه في محلها، فمنذ أن دخل كريم بيته، لاحظ اهتمامها به، وشرودها أثناء غيابها، مثلما شعر بنفورها منه، وانشغالها عنها المستمر، ولم يبق أمامه غير أن يعرف بالوجهة التي تقصدها في غروب كل نهار...

في هذا المساء الملبد بالغيوم، كان زاهد يمضي وراء زوجه في طريقها إلى مكان ما، كانت مرتبكة، زائغة النظر، وحين ترجلت من سيارة الأجرة، ودلفت إلى المبنى الذي يشغل فيه كريم الطابق الأول، صعقته المفاجأة، ووقف تحت زخات المطر ذاهلاً يتلوى من الألم، بطعنات الغدر والخيانة، ورأسه ينحني تحت التراب عاراً وذلاً ومهانة...!!!

زوجته ليست باردة كالثلج هي عاشقة تسبح في نيران الحب، وعليه أن يحرمها متعتها، أن ينتقم منها، حتى لو اضطر إلى قتل حبيبها، أجل سوف يقتله دفاعاً عن الشرف...

فيما كان الفجر يوشك أن ينبجج.. دوى رنين هاتف خلود، وجاءها صوت كريم، مضطرباً، ضعيفاً، متقطعاً:

- خلود.. لقد قتلت زاهد، قتلته قبل أن يقتلني، قتلته بسلاحه، سامحيني، لم أشأ أن تكوني لآخر غيري...

تهاوت خلود على الأريكة، تسرب ماء الحياة من وجهها، انقبضت شرايينها، تداعت خواطرها، وانفجرت بحجم الفاجعة المدمرة...

خلال سويغات النهار، عثر رجال الأمن على رقم خلود، مزروعاً في هاتف كريم، مثلما كان حبه منقوشاً على صحيفة فؤاده...

استمر التحقيق لأكثر من عام، وخضع الحكم للمادة /534/ من قانون العقوبات:

«يعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة، على القتل قصداً، إذا ارتكب لسبب سافل...»

بناء عليه خضع كريم للسجن المؤبد، وخضعت خلود للسجن خمسة عشر عاماً، بتهمة التحريض على القتل...

قصيدتان

كأنّي لم أكن

رانيا جمال الدين

هذا النص إهداء إلى

« أنثى المدّ الشعيرة

سهام الشعشاع

يباعدني طريق الضيعة التائه

تباعدي أرقتها

وترجمني حجارته

يشردني حزن على عتبات حارتنا

فلا اقرب

تلممني وجوه

في بساطتها

ثرى القمح

كأنّي لم أكن يوماً سنونوة

على جنباتها ألعب

فترفعني وتذروني إلى أحلام بيدرها

وعدّ الموسم الأخضر

كأنّي لم أكن تلميذة الغيم

أسابق الصبح

أذاكره،

وأحفظه...

أخبئه بمحفظة الأيام...حرية

فيأتي مفتش الأحلام

ليضبط بين أوراقه

تبغ التمرد

مناشير ضدّ الوساطة

وأقلام الكلام الحز

فينزل أقسى عقوبة في

شتاء من سقوط مر

تطارذني جراحات

ثقوب تدمي ذاكرتي

أداويها...أرّمها

ولا أشفى!

ضحيج البرق في رأسي

وريش يكسو أجنحتي

شتاءات عشتها سراً

فضائي غيوم هاربة...وعشي قمة الجبل

أعود اليوم من صيف تيبس في

..هشيماً

ألملّمه...أخبئه،

ذكرى من ربيع مر

على عجل

مقطع من..... قلبي

شفتاك طفلتان ناعستان، وفمي سرير دافء

كل شيء في يشبهك، إلا وجهك...يشبهني

أنا روحك.....!!

اعطني من وجهك مجرد نظرة على أوراقه....

لتصير الكلمات من ذهب؛ فليس كل ما يلعب ذهباً....

إلا عينيك جواهر النظر!

كأن القلب قرر أن ينفجر، ولا يمنعه من ذلك سوى نبضك

المتغلغل فيه

يخاف عليك

لأنك تسكنين قدره!

أحس بك كأنك هنا قربي

أسمع ما تقولين...الصمت لم يعد حاجزاً يخفي؛

بل فاضحاً لكل أسرار المسافات!

سأبقى أجبك ما دمت أكتب

ولا شيء يمنعني عن الكتابة، حتى شلل الدموع!

سأبقى عاشقاً لنحيب صدرك، لضمة تعلن قيامة التمرد، وصلب

الحزن!

أنا لست إلا شاعراً يكتب في جريدة،

لا أملك إلا قلمي ودفترتي وأنا ملي العنيدة...

لكنك أبدعت من روحي معلقة، كتبتها أنفاسك قصيدة...!

اغرف الكلمات من بحر عينيك،

فهو يتسع لي وحدي فقط...

على امتداد هيجانه!

سأجمع أشلاء شوقك.

في كلمات أخطها على جسدك....

بقبلة!

فماذا أنت فاعلة؟!

استكيني لثورة حبي

استسلمي لاحتراقه... فالى الرماد يا حلوتي

إلى الرماد

توقف الكلام لكن هل يتوقف النبض!

كأنه أسرع عداء في العالم...

ويسبق دمعتي...!!!

تردد...

تعبرين فوق جسدي

وتبكي أقدامك

تتلفتين بدمعك دون رأسك

تكبحين الصوت، لكنه يرجع إلي

وسام ونوس



تصرخين بوجه الروح حين تحتضر

تتألمين، تقفين

تسقط أصابعك بأحوال الحنين...

تترددين، تلمحين دمي على الرصيف

يركض قلبك دونك، يكبس الجرح بالجرح

تبتسمين من بعيد، يقترب فمي دوني

تحضنين... تكسرين الشفاه بالشفاه

يعود الشهد إلى خوابي الأمس...

تتنهدين، يصل النفس إلى الروح

تتذكرين.. أنك عبرت منذ شوق

تتابعين، تسترجعين القلب والشفاه

وتبقى شفاهي على الرصيف قربي،

متكسرة ودمي على شفاهك يسيل...!!!

علم من المعنى

قصيدتان

● حسن عبد الحميد حسين

وردة من شاعر

أبدت حياءً أم إباء؟! زادها

سحراً يفتّح عبقرية شاعر

حواء هذا القلب هل تدرين ما

أجريت في فكري وعمق مشاعري؟!

فزهدت بحسبك كالرياض خواتري

نهزاً وعشباً وامتداد أزاهـرا!

قولي لقلبك رقة ولطافة

إنني الأمين على الغزال النافر

فإذا مررت على الجمال حفظته

ورعيته بسمو خلق نادر

كم قمة شماء جبت فضاءها

ورجعت منها بالخيال الباهر

أهواك أعشقت في عيونك طفلة

ضاعت بحكم للزمان الجائر

ولكم حزنث على فراق براءة

فيها وجادت بالدموع محاجري

ولقيتها في مقلتيك ضحوة!

كقيامه من ظلمة ومقابر

حسنا هذي وردة من شاعر

في ذا الوجود مهاجر ومسافر!!

حياة الشاعر

بدمي أخط مشاعري وخواتري

شعراً توهج بالგრام الطاهر

والورد أغسله بفيض مدامعي

فيشع بالألق البهي الباهر

كالطفل تمنحه الأمومة عطفاً

وتلفه بحنان قلب ساهر

وأعيش في حُسن الطبيعة حالماً

مثل الفراشة فوق روض زاهر

وأطير في أفق الكيان تشوقاً

خلف الحقيقة والجمال القاهر

وأذيب إبداع الخيال قصائد

تختال بالنغم اليتيم الماهر

فالحسن كأسى والهيام مدامتي

والفكر والأخلاق أعلى جواهري!

● منير خلف

إلى الفقيد الراحل الأستاذ الشاعر الدكتور عبد الرحمن آلوجي

أقيلي عثرة العشاق حولي

لذكر الموت تنهدم اللغات

إلى هولـيـر حفتهم خداة *

وتسجن في مآقينا الجهات

لألوجي خذي أزهار وجد

لذكر الهادم اللذات وقع

وعنا فلتصافحه الكمأة

تخز له الجبابرة الطغاة

لأستاذ أخذت على يديه

ونهر الحب حين يجف صوت

مفاتيحاً توارثها البنائة

سنقصده لتكتمل الصلات

أيا جبلاً مضيت وأي ظل

فإن بالموت يعظم كل شأن

يوازي ما يخبئه الأباة

فأولى أن تكزمتنا الحياة

أيا علماً من المعنى سلاماً

لفقدك يا مرتبنا صلات

ترفرف فوق رايتك الصلاة

توحد صفتنا وتقوم ذات

على أفق الشموخ بنيت صرحاً

وكنت إذا قرأت نشيد صبر

تخرج في مدارسه الخمأة

تعلمنا .. فينتبه الفواث

أنادي يا بني صوتي أغيثوا

وكنت أخوة فينا ولكن

حدود الصمت غلقها التباث

على أخوة يوسف زدنا، فماتوا

وصبح جموعنا وضعوا عليه

وكنت أوامر التاريخ قريباً

قميص الليل .. واتحد الجناة

بلاغته الفرات .. وما الفرات

ندائي كيف أوصله إلينا

بأدرى منه معرفة بحرني

وهل في غير ذا تجنى العظاث؟

سنزرع رغم حزن الأرض فينا

وما تغني لحالاتي الصفاث

غراس الضوء يسقيها الهداة

وكم غيم زرعت بأرض قفر

أكاد أشك في موت بطيء

وكم كنا نبيث ولا نباث

سريعاً جاء وانكسرت قناه

وكنت إذا أتيناك انهماراً

منايا كم تلازمتنا سراعاً

من الأضواء تحسدنا الهباث

فتأتينا وبأخذنا الشتات

وكنت إذا أجدت بماء حرف

إلى غدك الضريح وأنت فينا

تفتق تحت حُبستي انفلاث

شموع وهي للذكرى مئات

وكنت يد الوفاء لنهر شعب

دعيني يا دموع القلب حسبي

دعاء لا تترجمه اللغات

وما كنا نراك .. فيا دواة ..

موقد النوى

● فوزية المرعي

تدمى أناملِي عيناِي نافورتان من كرزٍ مجرَّح تخضبت من وهجها أجنحة الأصيل...	ماذا أقول لأوراقك المبعثرة في كل ركن هنا.. وهناك... كيف سأرتب حروف قصيدة بدأتها بأناملِ روحك وختمتها بالبياض...	في حدادٍ أزلِي صوب الموت... طائرُ أغشته المسافات بين سفر الرحيل وسفر الإياب... تنور الغربة يسجر له أرغفة الضياع... بين رغيف وآخر توهز أضلاعه بنشيد وطني أزلِي	لم يبق سوى طير التم ينعب أفرأخا - في العش بنشيد سزي أزلِي تهامى الغروب نهرًا - من ياقوت عشتار تسرَّح الأمواج بيخت - من صندل أخضر وتمهر أواخر الأوراق بختم صاغه سومر تهودج الغيم على صهوة الليل أصابع من بخور... أبي كان في زقورة اللحم يرتل آخر صفحة من أسطورة النور ويجدل لأسماء نطاقين من هذب الليل ووشائع الفجر... ثم يمضي إلى منفاه الأخير - من الذي استعجلك الرحيل؟ وأخمد فتيل وهج العشيات؟ أغياي عنك أم على مهرة تصهل في فلوات البعد وتمهر رسائلها بميسم التجافي...؟ أم على فلذة واراها الردى قبل الأوان... أم حزنًا على الحسين وهما يندبان على كربلاء تبعث من جديد أم على وطن مرَّقه المغول من الوريد إلى الوريد... أم أنّ القلب المعنى بالتوقد قد تلاشى قطاة بلا جناحين في موقد العذاب...؟ فأرداه ترحاله بوصلة شطبت من ذاكرتها كل الجهات وتسمّر مؤشرها	تؤوب أسماء سنونوة مضرجة بنزير عينيها هائمة الروح - ها أنا يا أبي كلهوة في رحي الوجد مسحونة الروح تذروني أصابع الريح هشيمًا بين سهوب الغربية وسعف الاغتراب - كنت لي وطنًا مسيحًا بالليلك والزعفران أسكنه وقتما شئت أرحل منه إليه كيف أشاء - نخلة أتفيا بعذوقها أضمد صهيل غرثي حبة من رطبها أبل - فحيح لهاثي بقطرة من نسغها أنسل من لحائها خيوطًا لسدوة شالي أطرز ثناياها بقداح يورق من يخضورها - دهمتني الريح... فانفرطت سبحة جمان - أزرق تؤجت بها يوما - جيدي زأرت بي الأنواء فناحت على الأوتار زغاريدي شطبت أناشيد الفرح عن مرايا ذاكرتي باغتتني بالحنن صمتًا حتى الموت... - على حبال أرجوحتي ذابت بصمات أصابعك جفلت رثام الرؤى عن يم - قصائدك
أيكفي حين يهصرني الحنين أن تبرعمني الصباة على ضريحك غصنا - من خزامى... تهذي تويجاتها العشر فاتحة الوصايا...؟؟؟... أم أنثر عدوق لوعتي وأعفرها بترب لحدك علني أعبق بقطرات من ندى أرجواني يتهامى علي من زيت روحك؟ أتلاشى بين قرميد صومعتي شمعة ضلت ضياء فتيلها أقرع كؤوس نحبي مع كؤوس رحيلك وأرضع من ضرع الشظايا قطرات وجد تعقتت صهباؤها من نثيث سهدك أتمل بنشوة الموت المبجل ثم أدوي كاسم مجرور بكل حروف الحزن في ملحمة ممهورة بجمر الروح.	كيف سأرتب كتبنا غفت على رفوف اغترابك...؟ أأرتبها حسب أبجدية اسمك؟ أم حسب أبجدية أحزانك أم حسب أساور التيه التي تنزرن بها معصمائي بعدك...؟ وأترك لعيني الغرق في هميان لتذرفا على السطور نقاطا تاقت عن بعضها حروفك...؟؟ لفاقة تبغك يشطرها زهول نصف ندي تعمد بالرضاب ونصف ترمد بأخر نطفة زفرتها قيثاره روحك... وتر أنا على صدر سنطور تداعبه أنامل التيه هامت به النغمات وتاهت... بين هسيس الصبا وأنين البيات... أجبيك زاجلة تهدل باللوعة قصائدها أدنو من أروقة سريرك أسفح سهدي على وسادتك أبحث عن دفء يزقو أفرأخ حنيني بهديل ينسرب إلي من بنان روحك... تدهمني العاصفة.. - أتهاوى في موقد النوى جمرة - تومض بالنحيب... تتهيك على مساماتي واحاحات من الصبار أهيم في ملكوت البحث	كان يمهر القصائد بالقبليات ويرسلها إلى أوروبك زاجلا حبيبي أوروبك... يامهد القداسة أيتها المبجلة بكل آلاء الحضارة أنبئني : أما زلت أول سنبله تمطت بذورها على سهوب الشمس؟ وهل ما زالت عشتار تتيمم بخور زقورة بابل وتضمخ حنأ ضفائرها بأمواه الفرات... أم أن البغاث استنسر حين ألقى حقول التبر في تيه - تمور... أخبريني ياغرانيق دجلة هل ما زالت النسوة تخوض خلايلها بغرين النوى... وأصابعهن شموغ تشتعل بالندور... هل من ملاك يحملني قربانا على مذبح كبير الآلهة ربما.. إذا بكتني أمي ينسى العراق لغة النواح ويفرح... ربما يفرح... هل من ملاك يحملني قربانا على مذبح كبير الآلهة ربما.. إذا بكتني أمي ينسى العراق لغة النواح ويفرح... ربما يفرح... هل من ملاك يحملني قربانا على مذبح كبير الآلهة ربما.. إذا بكتني أمي ينسى العراق لغة النواح ويفرح... ربما يفرح...		

اللوبي... حائط مبكى داخل الكونغرس /تتمة/

الشيوخ يدرك كل من هؤلاء الأعضاء أنه لابد من أن يوقع عليه. فالعرب في الولايات المتحدة ما زالوا على مسافة بعيدة من حيث الثروة والقوة والنفوذ، ولكن في الوقت نفسه يتوهم بعض النشطاء العرب الأمريكيون أن لديهم الثروة والأصوات الانتخابية لكي تصبح لديهم قوة سياسية أكبر مما هي في الواقع. وبالمقابل يؤكد أحد النشطاء العرب في الولايات المتحدة، ويقول: إننا لا نقتصدنا المال ولا النفوذ، ولكن ما ينقصنا هو العزيمة والإرادة، فالعديد من الأمريكيين العرب لا يعدون أنفسهم جزءاً من نسيج المجتمع الأمريكي، ولكنهم ينظرون إلى أمريكا بوصفها محطة مؤقتة في حياتهم، حتى تتحسن الأحوال في أوطانهم الأم. ويعتقد الكثير من الأمريكيين العرب أن أمريكا منحازة انحيازاً أعمى لإسرائيل، وليس هنالك أي أمل في تعديل هذا الوضع المائل، كما يعتقد آخرون أن هذا استسهال للأمر، وعدم اعتراف بأن الطرف الآخر يلعب اللعبة على نحو أفضل. فاليهود يجمعون التبرعات ويحشدون الأصوات الانتخابية، ويحاورون أعضاء الكونغرس، ويقترحون مشروعات القوانين، ويتصلون بوسائل الإعلام، ويعقدون المؤتمرات الجماهيرية، وهم بذلك يحققون التأييد الأوسع لقضاياهم المختلفة على الصعيد الشعبي والحكومي في الولايات المتحدة وحليفاتها.

الحالي يزور أمريكا في عهد الرئيس «بيل كلينتون»، ومارس الرئيس الأمريكي بعض الضغط على (إسرائيل) وأعلن عن وجود مشروع سلام أمريكي لحل المشكلة الفلسطينية، وبمجرد الإعلان عن هذا المشروع، قام 81 عضواً من أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي بإرسال خطاب شديد اللهجة إلى الرئيس «كلينتون»، يحذرونه من نشر تفاصيل هذا المشروع الذي لم ير النور حتى تلك اللحظة، وقد تكرر مع «نتنياهو» في رئاسته الثانية لإسرائيل، عندما أعلن الرئيس الأمريكي «أوباما» في عام 2011م بإحلال السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وبعد أيام من هذا التصريح بعد لقاء أوباما مع نتنياهو تراجع الرئيس الأمريكي عن التزامه بما أعلن عنه أمام العالم، وهذا ما يؤكد خضوع القيادات الأمريكية تاريخياً للضغوطات اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة، وخاصةً عندما يتعلق الأمر بأي مسألة تتعارض مع مصلحة (إسرائيل).

ويقول أحد النشطاء السياسيين المصريين المقيمين في واشنطن تعليقا على ذلك: إننا لا نملك أي تنظيم أو إمكانية تناظر أو تماثل «إيباك» أو يستطيع الوقوف في وجهها، وحينما تبدأ هذه اللجنة في حشد الدعم والتأييد على هذا النحو المذهل، فكل ما عليك فعله هو أن تربط حزام المقعد وتستعد للاصطدام، فبمجرد أن تقوم «إيباك» بكتابة أي خطاب وتقوم بتمريره على أعضاء مجلس

اليهودي عندما يتعارض ذلك مع مصالحها في منطقة الشرق الأوسط، وكانت صفقة طائرات الأواكس آنذاك إحدى الحالات القليلة التي قامت فيها مثل هذه المؤسسات بحملة ضغط منظمة موجهة ضد القوى والجماعات الموالية لإسرائيل.

وقد تزعمت هذه الحملة شركات البترول الأمريكية العاملة في المنطقة العربية وبشكل صريح وعلني بتأييدها للمصالح العربية، وكان لهذه الحملة تأثيرها الملموس في مساندة الرئيس ريغن آنذاك، عندما اتخذ قراره الشهير بوقف تسليم الطائرات لإسرائيل بسبب هجومها على المفاعل النووي العراقي في بغداد مستخدمة أسلحة أمريكية، وهو ما يعد انتهاكاً للقانون الأمريكي الذي يلزم (إسرائيل) بعدم استخدام هذه الأسلحة فقط في حالة الدفاع عن النفس وليس للهجوم على دولة أخرى.

وعلى النقيض من ذلك، نجد أن العرب الأمريكيين لا يتحركون كقوة واحدة، حيث إن القضية العربية لا تمثل لهم الأولوية الأولى أو شغلهم الشاغل، بالإضافة إلى عدم انخراطهم بجماعة واحدة أو حزب واحد يجمع شملهم، ويجعل صوتهم أكثر وضوحاً وقوة لدى صانعي السياسة الأمريكية.

ومن الأمثلة الدالة على قوة اللوبي اليهودي وسرعة تحركه ما حدث عندما كان رئيس الوزراء الإسرائيلي «بنيامين نتانياهو»

المعارك الثقافية: من فضاء التسامح إلى نفي الآخر /تتمة/

تأخذ أشكالاً، من لفت النظر وشد الأذن إلى قطع اللسان. بالتالي فإن مآلات المعارك التي تخاض، لا تعد بتربية العقول والأذواق، أو زيادة الإقناع طلباً للانحياز إلى حق أو خير أو جمال، ما يشد الهمم لبذل الجهد الفكري الذي يساهم في تنمية الوعي ونشر الثقافة؛ بل أصبح المال هو الانحياز إلى موقع سياسي، وإعادة إنتاج الواقع السكوني، والضائع هو تلك الطاقة التي تعمل على تجدد المجتمع الذي يؤول مثقفوه - أو الكثير منهم - إلى الخرس، وربما إلى الفرار.

لقد أصبح للثقافة مخالب تخوض بها معاركها، وإذا كانت هذه المخالب طالما كانت موجودة، فقد زادت حدتها، ولم يعد ممنوعاً أن تبرز دفاعاً عن مواقع سياسية أو دينية، وكثيراً ما كانت التحالفات القائمة بين الاتجاهين الديني والسياسي، عامل كبح للثقافة التقدمية الحرة، وطالما كانت مخالبتها قادرة على إنجاز النصر في المعارك الثقافية، في واقع لم تعد الثقافة قادرة على الاستقلال عنهما. ولطالما كنا نأمل أن تكون السياقات الحديثة للثقافة قادرة على تحرير الآراء المخالفة في المعارك الثقافية من الضغوط عليها خدمة للثقافة والمثقفين والأوطان والمواطنين، لكننا فيما يبدو قلما نحصد سوى الريح. في الثقافة المؤجلة، لا يكتفي المثقف بإعلان رأيه؛ بل يجب أن يشوه رأي غيره ويسكته!

والفن الملتزم والنقد الملتزم والمسرح والسينما والنحت... إلخ، والالتزام هنا يقوده مبدأ سياسي، لا يهادن مناوئيه، ما يفسر الكثير من حالات قمع المثقفين.

لم تعد المعارك الثقافية تجري بأسلحة الثقافة ووسائلها فقط؛ بل تجري بالسياسة أيضاً، وإذا كانت الثقافة غير جديرة بالقمع ولا تملك وسائلها، فمن يقوم بذلك عنها، هو صنوها ومرجعها السياسي السلطوي، فتصبح الثقافة مثل السياسة أحادية الاتجاه. لقد برز هذا واضحاً في بلاد الاشتراكية؛ حيث وضعت مساطر للأدب والفن تقيس انضباطهما وتطابقهما مع السياسة. كان هذا إيذاناً بركود لهيب المعارك الثقافية الخالصة لتخوض معاركها على أرضية سياسية اجتماعية طبقية. وتكون هي الخاسرة.

مثل هذه المعارك لا تقبل أن يكون فيها منتصران، ولا أن تنتصر الثقافة كما كان يحصل؛ بل يجب أن تنتصر ثقافة السلطة، وهذا الوضع جعل ديوك ثقافة السلطة تنفخ ريشها في وجه المخالف، ما يؤدي إلى استبعاد الآخر، ويكون إخلاء الساحة إلا من الرأي الوحيد (الموافق) خسارة للمعنى وللثقافة وللإنسان بالتالي للسياسة والحياة. وليس بالضرورة أن يبقى صاحب الرأي الآخر المختلف بمنأى عن المحاسبة التي قد

حسين مروة وتيار مجلة ((الثقافة الوطنية))، في مقابل أسماء مرموقة مثل: طه حسين، عباس محمود العقاد، على صفحات جريدة ((المصري)) و((الجمهورية)) ومجلة ((الغد))، ومن أبرز منتجات المعركة كتاب ((في الثقافة المصرية)) لمحمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس.

المعارك الثقافية البريئة من التوجهات السياسية في بلادنا، غير كثيرة، حتى تلك التي تدور بين المدارس الأدبية أو النقدية، فهذه كثيراً ما تكون امتداداً للسياسة، بالتالي يجد السياسيون الباب مشرعاً للانخراط فيها والتأثير عليها، ويعود مناخ معركة خلق القرآن، وتكون المعركة على ساحات الفكر القومي والثقافة القومية، أو الفكر الماركسي الاشتراكي والثقافة الداعمة له، أو في مواقع الليبرالية أو الإسلامية. وحين تكون هناك معارك ذات طابع فني، مثل تلك التي حدثت بين الشعر الجديد (التفعية) وما بعد (والشعر القديم، فقد وظفت فيها عناصر كانت حاضرة قبل ذلك مثل الحديث والقديم، العقل والنقل، وصولاً إلى الحداثة والتقليد، وهذه هي معارك الحياة المتجددة بين القار والقادم المتغير.

لقد حالت المجالات الثقافية إلى سلط مباشر فعلها، ليس في السياسة وإدارة المجتمع فقط؛ بل في ساحات كالأدب والفن، فجدد الأدب الملتزم

الجاهلي)) أو كتاب علي عبد الرازق ((الإسلام وأصول الحكم)) أو بعض كتب قاسم أمين، وغير بعيد من يومنا ما دار حول كتاب سلمان رشدي ((آيات شيطانية))، ولا تزال الساحة واعدة.

يمكن الرجوع إلى سلسلة الكتب التي اختار موضوعاتها محمد كامل الخطيب، وصدرت عن وزارة الثقافة في سورية تحت عنوان ((حوارات النهضة العربية)) لمعرفة مدى الغنى الفكري والثقافي الذي تضمنته هذه الحوارات (المعارك) في جميع فروع الثقافة ومجالاتها، من المعركة بين الطربوش والقبعة، وصولاً إلى التناحر الفكري بين أكثر التيارات الفكرية تناقضاً وتعارضاً. خلال حقبة النهضة.

ويشار في هذا الجانب إلى المعركة الأدبية الفكرية التي ذكرها محمد دكروب في العدد (3) السنة (71) من مجلة الطريق، والتي ثارت في مصر وبعض أقطار الوطن العربي تحت شعارات: الأدب للحياة، وبرزت في صياغات الواقعية: الواقعية الجديدة، الواقعية الاشتراكية، مقابل: الأدب الصافي، الفن للفن... إلخ. وكل ذلك له علاقة بالصراع السياسي والاجتماعي المحتدم في خمسينيات القرن العشرين بين التقدميين بتنوعياتهم، والمحافظين أو الرجعيين بتنوعياتهم. وبرز من المثقفين الماركسيين العرب: محمود أمين العالم، عبد العظيم أنيس، رثيف خوري،

القصة القصيرة في الجزيرة.. واقع وآفاق /تتمة/

«جماليات المكان» - سنلحظ أن الاشتغال عليه - في العموم - جاء مجسداً لحضور واقعي، صحيح أنه عند البعض اكتسب حضوراً نفسياً، غير أننا سنفتقد حضوره السحري عبر أسطرته مثلاً، ما كان سيحيله إلى فضاء قصصي يندغم بمصائر شخصه!

أما اللون فلم يُدرس في النثر العربي على نحو مرض، إن على الصعيد العام أو على الصعيد المحلي، لذلك - وبالوقوف به - سنتلمس الشج في هذا المقام، ربما لأن الجزيرة تتأخم بادية شحيحة الألوان، يهيمن عليها الأصفر!

الخواتيم تباينت في مستوياتها، وجبهة عبد الرحمن - مثلاً - لجأت إلى الوعظ، والوعظ عنصر حكائي، وليس عنصراً قصصياً، هذا ينطبق على قصة نسرين تيللو أيضاً، ناهيك عن أن الأولى استعارت من المسرح خشبته في قصتها، لكن التوفيق لم يحالفها بالدرجة المطلوبة، أما الاستخلاصات فسنتركها لحصافة القارئ، ما اقتضى التنويه!

القصة القصيرة في الجزيرة السورية، دار بعل، طبعة 1 / 2012

زمن مُنكسر، فيما أتاح تعدد الأصوات للأخير إعفاء نضه من نسق التعاقب!

أما لغة القصة، فلقد جاءت في مجملها على التعبير الدال - ثمة اقتصاد لغوي يسوس النصوص مخافة الترهل - لتشي بضعف في الأدوات أحياناً، أو بانحياز لرأي يذهب إلى أن الشعرية مقتل للقصة القصيرة، وقد نتذكر الناقد د. فؤاد مرعي في هذا المقام، مرة ثالثة سنستثني بسام الطعان ومحمد باقي محمد ووجيهة عبد الرحمن وصبري رسول، الذين اشتغلوا على توصيف مُجنح، ما يُكسب لغتهم أفياء وظلالاً وتوريات، لنتذكر رأياً آخر ينادي باللغة الشعرية، شريطة ألا يُغَيِّم الحدث أو يغيِّبه، وقد نتذكر الاشتغال على بيئي مُفصح يطغى بحدود عند فاضل العبد الله، فهل أراد فاضل أن يسهم في تقويض مملكة السرد؟!

التقطيع الفني سيظل برأسه في نصوص السيد والأبرط و عمران عز الدين و محمد باقي محمد، إلا أن الأخير لا يكتفي بالتقطيع، بل سيضيف إليه عناوين فرعية! وبالعودة إلى المكان - الذي أفرد له غاستون باشلار كتابه

بيئة شحيحة كهده سنتنتج بشراً قاسين، أو للتأكيد على أن تنوع الأثنيات فيها سينتج أنماطاً تعبيرية متباينة في البناء، مُتشابهة في المضامين، لتعكس خصوصية طاغية، أو أن النصوص ستتعامل مع الحدث بردود أفعال، بدل أن تتناول الفعل ذاته في تشكله، ما كان سيسمح بمقارنته على مستويات أخرى، ناهيك عن تحليله؟!

وفي التقانات التي ساست القصص، سنرى احتكامها إلى الفعل الماضي، في إحالته إلى ضمير الغائب الشهير « هو »! نحن إزاء سرد تقليدي إذن، لكننا سنستثني مما تقدّم خورشيد أحمد وملكون ملكون ونسرين تيللو وماهين شيخاني وأنطون أبرط ومحمد خير عمر، ذلك أنهم لجؤوا إلى ضمير المُتكلم، هذا حال صبري رسول في شطر من نضه، أو محمد باقي محمد الذي تحايل على السرد بتعدد الأصوات، ولكن هل استنفد السرد مهامه؟!

وانسجاماً مع السرد سيلجأ القاصون بمجملهم إلى زمن فيزيائي، تسيل سيالته من الماضي نحو الحاضر فالمستقبل، لكننا - ثانية - سنستثني صبري رسول وملكون ملكون ومحمد باقي محمد، إذ استعان الأول والثاني بالتذكر، ليذهب بنا جهات

أشق المحادثات

محادثة الصم أشق شيء بعد محادثة النساء، إذا صح أن الرجل، يتحدث أو يتناح له فرصة الكلام وهناك امرأة.

والفرق بين الحالتين (أعني بين محادثة الصم ومحادثة النساء) أن المرء في الحالة الثانية لا يزال يفتح فمه، كلما توهم أن الحظ قد أسعفه بفرصة، ولكنه فيما أعلم لا يجاوز التأتأة أو الفأفأة أو غير هذه وتلك مما هو منهما بسبيل، ولا يكاد يزيد على ((أأ)) ثم لا يرى بدأ من إطباق فمه، وهكذا؛ فلو أنتج لك أن تراه وهو يفتح فمه ثم يطبقه مرة بعد أخرى من دون أن تعلم أن هناك امرأة تنحدر كالسيل؛ لظننته يتأهب من فرط الملل والوحدة، وشر ما في الأمر أن المرأة لاتنفك تنكر على الرجل صمته وتستهنه منه أو تعده دليلاً على أن في نفسه شيئاً من ناحيتها. وليس من الميسور أن يقول الرجل منا لأمه أو زوجته أو أخته أو لأي سيدة محترمة أن علة صمته أنها هي لا تكف عن الثرثرة. كلا هذا لا سبيل إليه؛ فإن عاقبته أوخم، فهي ورطة كما ترى لا مخرج منها. فرص الكلام معدومة أو هي في حكم معدومة. والمصارحة مستحيلة، والصبر على اللوم والتأنيب والاتهام عسير. فماذا يصنع المرء؟

توهمت مرة أني اهتديت إلى تعليل للصمت المفروض علي والمستهنج مني في وقت معاً. فقلت لمن كانت تلومني: ألا تعلمين أني مدرس؟

قالت: ((وما شأن ذلك؟))

قلت: إذا أكثرت من العمل بيديك ألا تتعبان؟

قالت: نعم، قلت: وإذا مشيت بضعة أميال ألا تتعب رجلاك؟

قالت: هذا صحيح ولكن ...

قلت: تمهلي. وإذا تعبت يداك أو رجلاك فكيف تريحينهما؟

قالت: بالكف عن العمل أو المشي.

قلت: انتهيان؛ أنا مدرس وليس لي من عمل طول النهار إلا إدارة لساني في حلقي. فمن حق هذا السان أن يستريح بعد الجهد الشاق الذي بذله. فاقتنعت يومئذ. وبعد بضعة أيام كنت جالساً معها صامتاً كما هو مفهوم بالبداهة؛ فدنت مني وقالت للسنان يتعب؟ أليس كذلك؟

فأدرت أن وراء هذا السؤال أمراً، وقلت: نعم، شأنه شأن كل عضو آخر.

قالت: ((فما لفلانة المعلمة لا تكف عن الكلام في ليل أو نهار؟))

والخلاصة أنني أشك في أن آدم هو الذي سمى الأشياء.

وما أظن إلا أن حواء هي التي يرجع إليها الفضل في ذلك.

فما أحسبها تركت له فرصة يفتح فيها فمه، ولا سيما إذا ذكرنا أن آدم كان الإنسان الوحيد الذي كانت تستطيع أن تكلمه في الجنة، وأنه لم يكن معها سواه؛ فكيف استطاع أن يجد الوقت اللازم للتفكير فيما يناسب الحيوان والنبات من الأسماء؟؟ بل ما أظن أن آدم أكل من الشجرة المحرمة؛ لأن حواء أغرته؛ أو لأن الشيطان وسعه أن يزين ذلك له؛ بل لأن الأكل من هذه الشجرة له عواقبه، ومنها الموت وانتفاء الخلود، وتلك وسيلة للخلاص يمكن ارتقابها مع الصبر. فما أعظمها من تضحية يجب أن نذكرها لأبينا الشيخ المسكين؛ أما محادثة الصم فشيء آخر مختلف جداً. هي صياح من جانب وبعثرة من الجانب الآخر، وأعني بعثرة المواضيع التي يمكن أن يدور حولها الحديث زمنياً معقولاً؛ إذ لا سبيل إلى حصر الذهنين في موضوع واحد وقتله.

أعني قتل الموضوع - ونضرب مثلاً: تضع يدك إلى جانب فمك، وتصيح في (أذن صاحبك: متى اشتريت هذه النظارة؟!)) فينظر إليك أولاً، كأنما يريد أن يقرأ في عينك أو في وجهك كله ما سمع، ثم يقول بصوت تكاد لا تسمعه، ولعله يحسب أنه يصيح مثلك ((أي نعم وزارة المعارف)).

فتصيح مرة أخرى وتصنع من كلتا يديك بوقاً لأذنه فيقول: أه ربما... ربما فإن الأزمة حقيقة حادة، ويخطر لك أن تغير الحديث، فتصب هذه الصيحة في أذنه، أو تطلقها في الهواء سياتن. ((هل قرأت مقالتي الأخيرة؟)) فيقول: ((لعنة الله عليها لقد كادت تخنقني وقد غشني من مدحها لي)). فتبدي أمارات الدهشة وتلعنه بصوت عادي فيقول: لا تعجب فإنها جهة مشبعة بالرطوبة والبعض فيها كالنحل/ كلا. لقد شبعت من هذه المنيرة، وسأنتقل إلى جهة أخرى، وهكذا ننتقل من موضوع إلى موضوع بلا فائدة، حتى يبيح صوتك، والنساء شر لابد منه، وكثيراً ما تنسيك حلاوته ومرارته ولكن المرأة الصماء؟! هنا... يحسن السكوت.

الإعداد: ليلى حمد عريج

المرجع: صندوق الدنيا

لإبراهيم عبد القادر المازني

اتحاد الكتاب العرب يشارك في الوقفة التضامنية مع شعبنا في غزة

المتجدد الجائر على القطاع. وعبر المجتمعون عن دعمهم لأبطال المقاومة الفلسطينية في تصديهم البطولي للعدوان الغاشم، واعتزازهم بتنامي قدرات المقاومة التي طالت صواريخها تجمعات ومقرات العدو في عدد كبير من المدن والمستوطنات وصولاً إلى القدس وتل أبيب...

وإذ يعبر المجتمعون عن تقديرهم للروح المعنوية العالية للمقاومين الفلسطينيين الكفيلة بإلحاق الهزيمة بجيش العدوان الصهيوني يؤمنون بأن النصر سيكون حليف الشعب الفلسطيني البطل ولا بد لفلسطين أن تكفل جبينها بالغار من البحر إلى النهر والنصر لشعبنا العربي المناضل...

شارك اتحاد الكتاب العرب في سورية الساعة الواحدة من ظهر الأربعاء 2012/11/21 ممثلاً برئيس الاتحاد الدكتور حسين جمعة وأعضاء المكتب التنفيذي وأعضاء الاتحاد في فرع دمشق وريف دمشق والقنيطرة، في الوقفة التضامنية مع شعبنا العربي الفلسطيني في غزة في تصديه للعدوان الهجمي الصهيوني المستمر منذ أسبوع ونيف.

وجاءت هذه الوقفة التضامنية بالاشتراك مع اللجنة الشعبية العليا في سورية لدعم الشعب العربي الفلسطيني ومقاومة المشروع الصهيوني وعدد من المنظمات الشعبية والنقابية في سورية، تعبيراً عن التضامن مع أبناء شعبنا الصامد في غزة، وتثميناً لتصديهم البطولي لهذا العدوان

قرارات مجلس اتحاد الكتاب العرب

في اجتماعه بتاريخ 11/11/2012

وتتعامل مع جهات خارجية معادية تاريخياً للوطن والأمة. قرر المجلس الموافقة على استقالة الزملاء: د. قاسم المقداد - أ. غازي حسين العلي - د. إبراهيم الجرادى، من عضوية مجلس الاتحاد، وبناءً على طلب كل منهم. وقرر المجلس استناداً للنظام الداخلي اعتبار الأعضاء المنتخبين من قبل المؤتمر العام الانتخابي لعضوية مجلس الاتحاد، ولم يفوزوا بعضوية المجلس وجاؤوا بعد الفائزين بتسلسل الأصوات، وهم الزملاء: (محمد الحاج صالح - غسان حنا - زينة الشوفي) أعضاء طبيعيين في مجلس الاتحاد، وذلك استناداً إلى النظام الداخلي للاتحاد. قرر المجلس الموافقة على تشكيل لجنة فرعية في كل فرع لمتابعة الاستثمار؛ تضم: أمين صندوق الفرع + مهندس ترشحه البلدية + مهندس متابعة يرشحه الفرع بعد إطلاعه على دفتر الشروط لكل مرحلة من مراحل الاستثمار.

نتيجة الظروف الراهنة التي يعيشها القطر حالياً، قرر المجلس بالإجماع تأجيل عقد المؤتمر العام السنوي إلى إشعار آخر.

قرر المجلس بعد التداول ونظراً للظروف الأمنية الراهنة، وصعوبات السفر بين المحافظات، الطلب إلى جمعيات الاتحاد عقد اجتماعاتها الدورية مرة كل شهرين. قرر المجلس تشكيل لجنة برئاسة السيد الأستاذ غسان كامل ونوس نائب رئيس الاتحاد وعضوية: أ. محمد حديفي - د. ثائر زين الدين - د. طالب عمران - لدراسة تعديل ورفع قيمة الجوائز الأدبية في الاتحاد. قرر المجلس توجيه التحية إلى الزملاء: شوقي بغدادي - نصر الدين البحرة - ممدوح عزام - فؤاد كحل - بيان الصفدي - خيري الذهبي لتعبيرهم عن انتمائهم ورفضهم للإغراءات الخارجية للانضواء تحت راية تيارات مشكوك في وطنيتها وغير ملتزمة بأمن وسلامة الوطن...

نتائج مسابقة الأسبوع الأدبي

لعام 2012 للقصة القصيرة

مادة 1 - المصادقة على نتائج مسابقة صحيفة الأسبوع الأدبي لعام 2012/ القصة القصيرة وفق الآتي:

- الجائزة الأولى /25000 ل. س: محمد حسن الحفري عن قصته ثعلوب والبقرة حمروش

- الجائزة الثانية/20000 ل. س: للأديبة نازك دلي عن قصتها سر الصندوق.

- الجائزة الثالثة /15000 ل. س: إيلين كركو عن قصتها زهور الربيع لأمي.

مادة 2 - التنويه بالقصص التالية:

الأصدقاء في دنيا تأليف: سناء شعلان

لوحة تيماء تأليف: فوزات رزق

لبانة الصغيرة وأحلامها الكبيرة تأليف: موفق أبو طوق الرفاعي.

مزاج الفاكهة تأليف: أنيسة إبراهيم.

عرف نفسك تأليف: ديمة ديوب.

مادة 3 - يصرف لكل واحد من السادة التالية أسماؤهم محكمين الجائزة المذكورة مبلغ قدره /4000 ل. س وهم: مريم خير بك - محمد بري العواني - خليل بيطار.

مادة 4 - منح شهادة خاصة بالجائزة لكل فائز والإعلان عنها في الأسبوع الأدبي وإقامة حفل بهذه المناسبة.

مادة 5 - تصرف النفقة الناجمة عن هذا القرار من موازنة الاتحاد لعام 2012م.

مادة 6 - يبلغ هذا القرار من يلزم لتنفيذه.

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:
- غير منشورة ورقياً أو عبر الشبكة.
- منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
- لا تتجاوز المادة المرسله /800/
يراعى أن تكون المادة:
- ثمانمئة كلمة.
- يرفق مع المادة (C.D) أو ترسل عبر البريد الإلكتروني.
- يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.
- لا يرسل الكاتب أكثر من مادتين.

الآراء والأفكار التي
تنشرها الصحيفة تعبر
عن وجهات نظر أصحابها

www.awu-awu.sy
E-mail : aru@tarassul.sy

الاشتراك السنوي - داخل القطر: أعضاء اتحاد الكتاب العرب 500 ل. س - للأفراد 1000 ل. س - وزارات ومؤسسات 1217 ل. س - في الوطن العربي للأفراد 300 ل. س أو 30 \$ - للوزارات والمؤسسات 4000 ل. س أو 40 \$ - خارج الوطن العربي للأفراد 6000 ل. س أو 120 \$ - للمؤسسات 7000 ل. س أو 140 \$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب - دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

المراسلات:

الجمهورية العربية السورية - دمشق - ص ب(3230) - هاتف 6117241-6117240
فاكس 6117244 - جميع المراسلات باسم رئيس التحرير، هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 15 ل. س - في الوطن العربي: 0,5 \$ خارج الوطن العربي 1 \$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشاركين خارج سورية



ليس أمراً

✪ غسان كامل ونوس

مواطن!

ليس من موعد، ولا معرفة؛ مسبقة توقفت السيارة الصفراء حين أشرت إليها، لم نختلف على الأجر رغم أن العداد لا يعمل، ورغم الازدحام الذي تبدو مظاهره، ولم نختلف على قضايا أخرى فرضتها أصوات من تلك التي بتنا نسمعها في الليل والنهار من دون أن ندهش؛ قال أبو حسام، لقبه الذي توصلت إلى معرفته لاحقاً من دون أن أسأله؛ إنه الجهل، استفسرت عن قصده بحذر لا بد منه، وأنت تتحدث إلى شخص لا تعرف عنه شيئاً، رغم أن ذلك يتكرر، مع بعض الكلام الذي يصح في كل وقت وظرف، ومع أي شخص وموقف، قبل أن تتضح الأمور.

قال: الجهل أوصلنا إلى ما نحن فيه، أو ساعد على أن يستفحل؛ كان في حديثه مرارة، وفي نيته الاستطراد، فتركت حديثه يتواصل؛ عملت خارج سورية، وفي أكثر من بلد، وعاشرت جنسيات مختلفة؛ إن بلدنا من أحسن البلدان، وومواطنونا محترمون؛ عدت، وعاد ولدي من بعدي، ولديه الشعور نفسه؛ هو الآن يعمل حلاقاً في إحدى ضواحي العاصمة، ونسكن ضاحية أخرى في ريف دمشق؛ كل يوم تابع سائق سيارة الأجرة الذي لم يكمل تعليمه - أجلس إلى ولدي، نتناقش في مختلف الموضوعات السياسية والاجتماعية والمعيشية.. بما لا يقل عن ساعة مسائية؛ قبل أن يغلق ابني المحل يهاتفني ويعلمني بكل ما ينوي عمله، كذلك يفعل أخوه، فلا أفاجأ بوجود أي منهما في مكان آخر.

شردت قليلاً في الأبناء الذين يشردون عن أهلهم، في الشوارع والحدائق، ينساقون وراء أصحاب النوايا القاتمة والغايات السوداء بمغريات وأعطيات، أو يتأثرون برفاق السوء الذين أكد أبو حسام خشيته من تأثيرهم السلبي، وذهب تفكيرني إلى ما كان قد أخبرني به أحد الأصدقاء المثقفين، وقد فوجئ بمن يتصل به لاستلام ولده القاصر، بعد أن ضبط يمارس أعمال شغب ذات ليل سبق!!

أضاف أبو حسام؛ المؤامرة كبرى، والعدوان فظيع، والدول التي لا تتمنى الخير لهذا البلد أعدت العدة لضربه بأبنائه، وبما تيسر من مرتزقة، ومنا من لم ينتبه إلى ذلك، وانساق مع الفتنة..

نظر إلي بتمعن ليتحقق من ملامحي المستثارة، مغتنماً توقف السير المرزح

لحظات، وتابع: كنا نعيش بأمان وسعادة، أنا وجاري الساحلي.. توقف متأثراً قبل أن يضيف: رحمه الله؛ هل تصدق يا أستاذ، لقد تبرعت بكليتي حين احتاج إلى ذلك، كنت أذهب معه إلى ليغسل كليتيه مرتين في الأسبوع، بدلاً من أهله، لكن الطبيب سألني: من تكون بالنسبة إليه؟! قلت: مثل أخيه؛ بكى جاري واحتضني، وابتسم الطبيب بغبطة، معتزلاً بأدب: يجب أن تكون القرابة من الدرجة الأولى.. منا من لا يريد أن يفهم معنى ذلك، لماذا يصرون على تفرقتنا وتمزيق أوامرنا؟! ولمصلحة من؟!

ما الذي يعنيه استهداف مراكز قواتنا المسلحة على بعد عشرات الأمتار فقط من خط المواجهة مع العدو الإسرائيلي؟! لماذا يتحملون مشاق الوصول إلى هناك ويوجهون بنادقهم إلى الداخل؟! لماذا التركيز على ضرب قواعدنا الجوية ودفاعنا الجوي؛ أنا خدمت في إحداهما، وأعرف ماذا تعني بالنسبة إلى عدونا المتربص بنا..

توقف قليلاً، ومن دون أن ينظر إلي منشغلاً بتجاوز ضروري، أو بأسئلة ملحة: لماذا صارت سورية الشغل الشاغل للأشقاء قبل الأعداء؟! لماذا تثار المشاكل في الأماكن التي يتواجد فيها بعض الأشقاء بانتظار العودة؟! ولمصلحة من؟! صمت فترة، وقد تمعنت في معالم وجهه الداكن سمرة وأسى، ثم أشرق ونظر في وجهي باهتمام:

-تعرف يا أستاذ - كان هذا الكلام قبل العدوان الصهيوني على غزة بأيام- أتمنى أن تبدأ الحرب مع «إسرائيل» اليوم قبل الغد، لأنها الحرب المنتظرة مع العدو الحقيقي، لا المواجهات المتنقلة مع عملائه وأتباعه وماجوريه؛ قلت لولدي اللذين تحمسا لذلك: إذا ما بدأت المعركة مع الكيان الصهيوني، لن ننتظر حتى نستدعى، ستكون أكمنا في أمان، وتلتحق ثلاثتنا بأقرب موقع، وأنا واثق من النتيجة، لأنني أعرف بعض ما أعدنا لمثل ذلك اليوم!

كان الصدق علامة فارقة في تقاطيع وجه أبي حسام وحركاته، وقد تابعته بغبطة طوال الساعة التي استلزمها مشاورنا بسبب الازدحام الذي لم أحس بغلظته ومكابسه، ولم أشعر بقلق الساعات التالية بعد الانطلاق للحافلات من المركز الرئيسي، بسبب الكلام الذي جاد به أبو حسام، متطرقاً إلى أن الأوقات العصيبة التي نعيش جزء من المواجهة المفروضة مقدمة لما سيلي.. هذا الذي بدأ منذ أيام بالاستفراد بغزة المحاصرة لسنوات عدواناً سافراً يريد العدو الصهيوني من خلاله أن يقلم أظافرها التي تقلقه، في الطريق إلى محاولة التخلص من محور المقاومة التي تشكل سورية العقدة المستعصية فيه؛ فهل درى ذلك من أرادوا إنهاء سورية خدمة للمشروع المعادي؟! أم أن هناك من لم يدر بعد أو لا يريد أن يدري، ويريد لهذا البلد الأمين الخراب؟! ولعل في مواقف رعاتهم أمريكا وحلفائها المدن للمقاومة في غزة وفي كل مكان والداعم لإسرائيل المعتدية، ومواقف العرب (الغيبورين) على الشعب السوري، المساومين على الدم الفلسطيني، ما يزيد ما تبقى من غشاوة أو ستر.

إن ما أفاض به أبو حسام المواطن العادي يمثل الوعي الشعبي المثقف، الذي لا يحتاج إلى ألقاب ولا شهادات، وهو الذي حافظ على البلد من السقوط رغم الخسائر المؤلمة، وهو الضمانة الحقيقية للمصمود والخلص الآن وفي كل وقت!

gassan.k.w@mail.sy

بيان اتحاد الكتاب العرب: النصر لأبطال المقاومة في غزة

الأبيض في أمريكا ودوائر الاستخبارات الأوروبية.. لأنهم ليسوا سوى عملاء صغار أجلسهم الغرب على الكراسي الكبيرة.. إننا نحن الكتاب، أهل الثقافة والفكر والأدب، نقول للغرب وأمريكا إنكم تلعبون بالنار، وأن لصبر الشعوب حدوداً، وعليكم، وعلى أاداتكم في المنطقة، نعني الكيان الصهيوني النازي، أن تتحملوا نتائج هذه الحرب الهمجية الدموية على أبناء شعبنا الفلسطيني.. لأن هذه الحرب ستأتي بالويل والثبور على هذا الكيان، وسوف تطحن عملاء أمريكا وأوروبا في المنطقة.. بقوة المقاومة الباسلة التي استعدت كما يجب أن يكون الاستعداد، وبقوة المقاومين وصلابتهم الذين غرست جذورهم عميقاً في أرض الرباط الفلسطينية، مثلما غرست راية عزتهم عميقاً أيضاً.

إن هذه الحرب العدوانية المستمرة على الشعب الفلسطيني منذ أربع وستين سنة، وحتى هذه الساعة.. هي حرب الدوائر الغربية الصهيونية على الفلسطينيين والعرب، وليست حرب الكيان الصهيوني وحده.. وإن الرسالة الوطنية هي رسالة التشبث بالأرض والذود عنها، إنها رسالة المقاومة الثابتة على قيمها وثقافتها ومبادئها.. حتى زوال هذا العدوان.. واستئصال هذه الغدة السرطانية الصهيونية من المنطقة كلها..

إننا نحن الكتاب الأمناء على الثقافة العربية نحیی صمود مقاومة غزة، ونحیی أهلها صغاراً وكباراً، نساءً ورجالاً.. ونعلن وقوفنا الدائم والأبدى مع الراية الفلسطينية الخفاقة باسم الحضارة الكنعانية، كما نعلن وقوفنا إلى جانب البندقية الفلسطينية التي تواجه شرور الصهيونية النازية.. من أجل العزة، والعيش الكريم.. فوق أرض الوطن الفلسطيني الغالي.. وندعو العالم الأصم الأطرش الأبكم.. أن يعود إلى إنسانيته.. لكي يلجم الكيان الصهيوني الذي صار ترسانة الشر والأذى والموت.. على أرض الله الصغيرة.. فيطال بعنصرينه الشريرة ودمويته السادية فلسطين، أرضاً وتاريخاً، وبشراً وثقافة.. من دون أن يحاسب في المحافل الدولية، ولهذا ندعو منظمات الحقوق الإنسانية في العالم أجمع أن تصحو ولو مرة واحدة.. لعلها ترى ما يجري فوق التراب الفلسطيني من همجية وبربرية يقتترفهما الكيان الصهيوني وسط فرجة عالمية موجعة ومؤسفة.

النصر.. لأبطال المقاومة الفلسطينية في غزة هاشم والمجد والخلود للشهداء الأبرار.

اتحاد الكتاب العرب المكتب التنفيذي

الصدع



ضمن سلسلة الترجمة لعام 2012 أصدر اتحاد الكتاب العرب رواية «الصدع» للكاتبة دوريس ليسينغ الحائزة على جائزة نوبل للأدب عام 2009 وترجمة محمد إبراهيم عبد الله. تقول دوريس ليسينغ بأن مقالة علمية كانت الملهم لها في كتابة هذه الرواية حيث تؤكد بأن أصل البشرية هو الأنثى. وكانت هذه المقالة قد التقت مع مشاعرها بأن الرجال هم الجنس البشري الذي أتى لاحقاً، فهم الأحداث وأصحاب التنوع الأقل. فالرجال تعوزهم صلابة المرأة التي منحت الانسجام الطبيعي مع كل ما هو قائم في هذا العالم... أما الرجال فيعوزهم الاستقرار وهم عصبيون. رواية تتناول المرحلة التي سبقت ما يسمى بالجنس البشري، فالصدع هي قصة أجدادنا القدماء، تاجنس الأنثوي النصف مائي وذو الحركة البطيئة. تقع الرواية في 202 صفحة من القطع الكبير وغلافها للفنان منير الرفاعي.

تأجيل ندوة «الخطاب الديني.. والأزمة الراهنة»

لأسباب موضوعية طارئة قرر اتحاد الكتاب العرب تأجيل ندوته بعنوان «الخطاب الديني.. والأزمة الراهنة» التي كان مقرراً عقدها ما بين 2012/12/4-3 حتى إشعار آخر.

رئيس التحرير: غسان كامل ونوس

المدير الفني: نضال فهيم عيسى

هيئة التحرير:

إسماعيل الملحم - د. حمدي موصلي - زهير هدالة
- د. عادل فريجات - عياد عيد - مريم خيربك

المدير المسؤول: د. حسين جمعة
رئيس اتحاد الكتاب العرب

مدير التحرير: حنان درويش

الأسبوع
الأدبي

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام 1986